مجلة شهرية

نـــور المسيح
ΦΩΣ XPIΣTOY

عدد: 40 Issue No:
كانون أول 2010 December

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No: 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

دير القديسة كاترينا العامر في صحراء سيناء

محتويات العدد

2 نهر الحياة
كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث 3
5 طريق الحياة
شجرة المعرفة وشجرة الحياة 6
8 لا يقدرّ قصّار...
9 كلمات روحيّة
10 تفسير القدّاس الإلهيّ
دخول والدة الإله إلى الهيكل 12
أبحاث لاهوتيّة تدبير الخلاص ـ للذهبي الفم 14
16 القديسة كاترينا
الله الثالوث مصدر حياة تأملات حول أيقونة... 19
20 رموز العذراء
21 طريق النساك
21 العهد القديم. (٢٤)
عجائب القديس يوحنا الروسي 23

توزع هذه المجلة مجاناً
جمعية نور المسيح: كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص.ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١
تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة
حساب رقم: 12-726-111122
e-mail: light_christ@yahoo.com
ترتيب وتحضير: هشام ميخائيل خشيبون
سكرتير جمعية نور المسيح

نهر الحياة

كان شاباً أمريكيّاً مسافراً على ظهر سفينة ذات مرّة ، وذُهلَ حينَ شاهد جبلاً ثلجيّاً هائلاً على مقربة منَ السفينة. وكان الجبل الثلجي يتحرّك في اتجاه مضاد للريح. ومضاد للتيارات السطحيّة فوق الماء. وكأنما تديره وتسيّره **آلة خفيّة**. وكان يشقّ طريقه وسط قطع الجليد الصغرى الطافية فوق سطح الماء.

فراح الشاب يلتمس من ربان السفينة أن يشرح له هذه الظاهرة الغريبة ، فأخبره بأنّ هذا الجبل الثلجي العائم ، غائص في أعماق المحيط مسافة بعيدة ، وهو يبدو ضخماً هائلاً فوق سطح الماء ولكن الذي تراه العين فوق السطح ليس إلا الثلث فقط ، والجزء الأكبر منه وهو الثلثين غاطس تحت سطح الماء، ومتّصل بتيار مضاد تحت سطح الماء يدفعه بقوّة تغلب التيارات السطحيّة وهبوب الرياح. **لذلك يسير في الإتجاه الصحيح**.

إنّ قوّة روح اللّه القدوس الكامنة في أعماقنا والمختفية في داخل قلوبنا. هي **القوة الخفيّة** التي تدفعنا في طريق الحياة الأبديّة.

هي التي تحملنا وتحرّكنا ضد تيارات العالم السطحية لنَشقّ طريقنا وسط عالم **الإباحيّة والخطيّة**.

قوّة روح اللّه القدوس هي التي تدفعنا في حياة الفضيلة بينما العالم **غارق في الرذيلة**.

قوة روح اللّه القدوس هي التي تدفعنا في حياة الحب والبذل والعطاء بينما العالم غارق في **الحقد والكراهيّة وسفك الدماء**. وروح اللّه هو الذي يحملنا بعيداً عن أمواج العالم **الهوجاء** لئلا يصيبنا الدوّار والإغماء.

يقول الوحي الإلهي : «وإذا بنهر لم أستطع عبوره. لأن المياه طمت سباحة نهر لا يعبر» (حزقيال٤٧:٥).

ما أمجد نهر الحياة.

مرات أكون على الشاطىء تعطلني الخطية والعالم والشيطان. حتى لا أتقدّم. لكن روحك القدوس يا ربّ يُهديني إلى **نهر الحياة**.

أنهار العالم تجف أو تتلوّث ، أما **نهر الحياة** فهو دائم الجريان يروي الخلاء وينعش الروح. يغسل الأدناس والخطايا ، يسبح فيه أولاد اللّه

دون خوف.

نهر الحياة تحملني تياراته القويّة بعيداً عن شواطىء العالم الفاني.

يقول مرنّم إسرائيل الحلو: «وامتلأ نهر اللّه أمواهاً» (مز٦٤:٩).

صديقي

إسأل نفسك:

لماذا حياتي أرض بور والسواقي بجواري تدور؟

أجراس الكنائس تبعث في الفضاء خفقاتها إلى كل من لديه حاسة السمع معلنة له أن سواقي اللّه ملآنة ماء.

الإجتماعات الروحيّة من حولك في كل مكان.

الكتاب المقدس متوفر في يد كل إنسان.

الكتب الروحية ما أكثرها.

القداسات التي تقام باستمرار ...

سواقي اللّه ملآنة فلماذا حياتك أرض بور؟

لا تكتف أن تطير شوقاً إلى الفضيلة وترفرف حول أنهار النعمة بل ينبغي أن تنزل إليها وتغوص فيها.

إذا لم يزدْ علمُ الفتى قلبَهُ هدىً
وسيرَتَهُ عدلاً وأخلاقه حُسنا
فبشّره أنّ اللّه أولاه نقمة
يُساء بها مثل الذي عَبَدَ الوَثنا

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل وسائر القوات العلويّة

"فيما أنتم محتفّون حول العرش الغير الهيولي أيها الملائكة الألهيّون. الجواهر العقليّة العديمة الأجساد. ترنّمون للّه الملك بالتسبيحة الثلاثيّة التقديس بشفاه ناريّة. قائلين قدّوسٌ اللّه الآب الأزلي. قدوسٌ القويّ الإبن المساوي له في الأزليّة. قدوسٌ الذي لا يموت الروح المساوي لهما في الجوهر والممجَّد معهما. (الليتين على اللحن الثاني – صلاة الغروب).

أيّها الأخوة الأحباء بالمسيح يسوع
أيها المسيحيون والزوّار الحسني العبادة

تحتفل كنيستنا الأورشليميّة المقدسة في هذا اليوم المبارك بتذكار الجواهر غير الهيولية، العقليّة العديمة الأجساد، المكرّمة والمطوّبة، وخاصّة رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل وباقي الطغمات الملائكيّة السماويّة.

في هذا العيد الإحتفالي للجواهر العقليّة غير الهيوليّة ولجميع الطغمات الملائكيّة السماويّة، نجد فيها معنى خاصاً لكنيسة المسيح، لأن من خلال خدمة هؤلاء الملائكة وبالأخص رئيس الملائكة جبرائيل الذي ظهر لنا نحن البشر كمرسل من اللّه ليبشرنا بالسرّ الإلهي المكتوم منذ الأزل لأجل خلاصنا. «وهو أن العاري من الجسد يتجسّد في المستودع البتولي. ويصير إنساناً لكي يخلّص الإنسان، المسيح كلمة اللّه».

إنّ زعيمَي الملائكة والمتقدّمَيْن عليهم. ورئيسي الصافات الباهيَيْن. يستنهضان اليوم العقول السماويّة غير الهيوليّة إلى الأحتفال بعيد تذكارهما البهيج. فيشترك البشر معهم في الفرح مُسْدين التسبيح للثالوث.

تساهم طغمات الملائكة العالم دائماً لأجل خلاصهم وتكتنفهم وتسندهم بحمايتها لهم.

نعم «يخلص العالم بحمايتهم».

لأنه وبحسب القديس بولس الحكيم: فإن الملائكة أرواح خادمةٌ. « أليسَ جميعُهُم أرواحاً خادمةً مُرسَلَةً للخدمةِ لأجل العتيدينَ أن يَرثوا الخلاص» (عبرانيين ١:١٤).

تصبو الملائكة لتمجيد اللّه بدون انقطاع، وكذلك لا تكفّ عن التسبيح الليتورجي بحرارة وبشفاه ناريّة قائلة نهاراً وليلاً: قدوسٌ، قدوسٌ، قدوسٌ الربّ الإله القادر على كلّ شيء الذي كان والكائن والذي يأتي» (الرؤيا ٤:٨).

وأيضاً من الناحية التمجيديّة فإنّ الملائكة يسبّحون اللّه قائلين: «المجد للّه في العلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرّة» (لوقا ٢:١٣).

وكذلك فإنّ الملائكة يلعبون دوراً مهماً، فإنهم يرغبون مساعدة ودعم التدبير الإلهي في محافظتهم، وحمايتهم ورعايتهم المستمرّة للجنس البشري، وخاصّة الصديقين منهم، (فهم يقومون بنقل أرواح الصديقين والأبرار الصالحين إلى السماء). «فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم» (لوقا١٦:٢٢).

فهم وكما يذكر الكتاب المقدس يقومون بفصل الصالحين عن الطالحين في يوم الدينونة. « يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الأثم، ويطرحونهم في أتون النّار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (متى ١٣:٤١-٤٢).

الحقيقة التي تكشّفت لنا بشخص المتجسّد كلمة اللّه المسيح، والنعمة التي أوتيَت لنا من خلال المسيح، هذه الحقيقة ألغت مفهوم الفلسفة اليونانيّة السائدة حول الأشياء المنظورة، وغير المنظورة، مثل الغيبيّات وغيرها من الأمور المبهرجة الخارجيّة، والتي من خلال حقيقة التجسّد ظهرت لنا وبأجلى بيان ووضوح، إذ يكشف لنا الإتحاد والشركة بالروح القدس بين العالم الطبيعي والعالم ما فوق الطبيعي، الذي يشمل المواطنين في هذا العالم، والمواطنين العقليين والروحيين في السماء.

هلم لننظر ما يقوله لنا القديس بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين الذي أومأ إلى سموّ ورفعة نعمة العهد الجديد على ناموس العهد القديم. « بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة اللّه الحيّ أورشليم السماويّة وإلى ربوات هم محفل ملائكة» (عبرانيين١٢:٢٢-٢٣). بكلام آخر يقول الرسول بولس: إنّكم لم تواجهوا الأحداث الصعبة والمخيفة جداً والتي حدثت في مسيرة كتاب العهد القديم، لكنكم أتيتم إلى جبل صهيون الروحي، وإلى مدينة اللّه الحيّ أورشليم السماويّة، وإلى ربوات الملائكة التي تحتفل وتبذر ثمار الفرح لا الإرهاب. كذلك إنضممتم إلى محفل وإجتماع المختارين، وأبناء اللّه المحبوبين، المسجّلين والمكتوبين في سفر الحياة، مواطني السموات. كذلك اقتربتم أيضاً إلى أرواح الصدّيقين الذين أضحوا كاملين ومقدّسين.

إن مكان حضور الملائكة هي السموات ، وكذلك حيّز الكنيسة هذا ما يذكره لنا القديس كيرللس الأورشليمي لدى تعليمه للموعوظين إذ يقول:

«فإذاً إرتَقِ إلى فوق بنيّات نقيّة إلى السماء الأولى ، وانظر كم من الربوات وربوات الربوات الغير المعدودة من الملائكة، إرتَقِ إلى فوق بالأفكار إن استطعت لذلك سبيلا ، إن أمكن زد إرتفاعاً زَد ، وانظر رؤساء الملائكة... والأرواح والقوّات ... السلاطين ... العروش ... والرئاسات. فإنّ لكل هذه الطغمات يوجد مدبّر من اللّه ومعلّم وصانع القداسة، ألا وهو المعزي روح الحق الحاضر في كلّ مكان» (القديس كيرللس عن الموعوظين ١٦:٢٣).

وحسب القديس يوحنا الذهبي الفم: «إذا كان الهواء وكل الجوّ أي الفضاء مملوءٌ من الطغمات الملائكيّة ، فكم إذاً يوجد داخل حيّز الكنيسة من الملائكة!؟؟

هذا ما يبيّن بعد إمعان النظر ما بين طيّات الكتاب المقدّس ، وكذلك بعد الإمعان في صفحات الآباء القديسين من حيثُ طبيعة الملائكة ، فالملائكة يُعتبرون أشخاصاً وأقانيم ،وطبيعتهم مخلوقة، بالقياس لنا نحن البشر.

وفي هذا الخصوص وفيما يتعلّق بالنسبة إلى الطبيعة الملائكيّة يصرح القديس يوحنا الدمشقي قائلاً:

« الملاك هو جوهر عقلي ، غير متجسّد ، وغير هيولي بالنسبة لنا نحن البشر ، ذلك عند المقارنة ما بين الطبيعة الملائكيّة والطبيعة البشريّة وخواصيّهما.

الكرامة الإحتفاليّة التي تأتي من كنيستنا المقدسة لدى تذكارها القوّات غير الهيوليّة ، العقليّة وغير المتجسّدة بشكل عام ، ورؤساء الملائكة ميخائيل وجبرائيل بشكل خاص ، تأسّس هذا على كلمات الرب يسوع المسيح من خلال الإنجيليين القديسين. إذ يقول: «لأنّ من استحى بي وبكلامي .... فإنّ ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين» (مرقس ٨:٣٨).

وفي مكان آخر:

«هكذا أقول لكم يكون فرحٌ قدّام ملائكة اللّه بخاطىء واحد يتوب» (لوقا١٥:١٠).

أيها الأخوة الأحباء

هذا هو الفرح الملائكي ، الذي يشحننا بالحماس والغيرة ، نعم يا إخوتي الأحباء طالبين حماية وشفاعة رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل ومع المرنّم نقول:

لنغارنّ من سيرة الملائكة. ولنرفعنَّ عقولنا إلى العلاء. ولنرنّمنَّ معهم ترنيماً عقلياً غير حسّيٍ . مسبّحين ورافعين الربَّ إلى كلّ الدهور.

كل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

من أقوال القديس أنطونيوس الكبير لتلاميذه عن رؤى الملائكة

وظهر بغتة مع الملاك جمهورٌ من الجند السماوي مسبحين اللّه وقائلين: المجد للّه في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة

إنّ رؤية الملائكة والقديسين لا تولّد اضطراباً في النفس «فلا يصرخ ولا يصيح ولا يتكلّم ولا يُسمَع صوته خارجاً» (اش٤٢:٢) ، وإنما يحضر بسكون ووداعة ويمنح النفس الفرح والإبتهاج والشجاعة مباشرة. هذا لأنّه مع حضور القديسين يحضر الربّ أيضاً ، الذي هو فرحنا وفي الوقت ذاته قوّة الآب. ففي أثناء ذلك ، إذ تبقى النفس هادئة وبعيدة عن كل اضطراب تستضيء برؤية القديسين ويتولّد فيها شوق الخيرات الإلهيّة المستقبلة وتشتهي الإلتصاق بالأشخاص المرئيين والإنطلاق معهم ، إذا وُجِدَ لها سبيل لذلك.

وإذا كان هناك أناسٌ يخافون من رؤية القديسين ، فالقديسون المرئيون يزيلون الخوف بالمحبّة ، كما فعل الملاك جبرائيل للنبي زكريّا عندما بشّره بميلاد ابنه يوحنا المعمدان ، وكذلك الملاك الذي ظهر للرعاة عند ميلاد المخلّص ، والملاك الذي ظهر للنسوة عند القبر الإلهي قائلاً لا تخافوا. لأنّ الخوف في مثل هذه الحالات ، الناجم عن رؤية القديسين لا يعود إلى خوف نفسي شخصي ، وإنما إلى معرفة حضور أمور سامية.

هكذا تكون رؤية الأشخاص القديسين.

أما رؤية الأشخاص الأشرار فتكون مصحوبة بقرعات وأصداء وصرخات كما يفعل الشبان العديمو التهذيب واللصوص الخبثاء. هذه الأمور تولّد في النفس الخوف والإضطراب والتشويش والتقطيب في الأفكار والبُغض نحو النساك والضجر والحزن على الأهل والخوف من الموت والتهاون في الفضيلة والفوضى في السلوك وسائر الشهوات الرديئة الأخرى.

طريق الخلاص - للقديس تيوفانس الحبيس

قد يكون ممكناً أن نَصفَ الأحاسيس والميول التي ينبغي بالمسيحي امتلاكها، لكنّ هذا بعيد جداً عن أن يكون كافياً لترتيب خلاصه. المهم لدينا هو الحياة الحقيقية بروح المسيح. لكن فقط لامسوا هذا الأمر وسوف تنظرون كم من التعقيدات تتكشّف وكم من الدلائل تُطلَب عند كل خطوة.

صحيح أنه ممكن أن نعرف غاية الإنسان الأخيرة: الاتحاد باللّه. وقد يكون ممكناً وصف الطريق إلى هذه الغاية: الإيمان والسير بحسب الوصايا بمعونة النعمة الإلهية. وقد يقول البعض: هذه هي الطريق فسيروا بها. هذا الكلام يسهل قوله لكن كيف تنفيذه؟ كثيرون تنقصهم الرغبة بالمسير. فالنفس، مشدودة بهذا الهوى أو ذاك، تصدّ بعناد كل قوة وكل دعوة. تتحوّل الأعين بعيداً عن اللّه دون أن تريد النظر إليه. فالإنسان لا يميل إلى ناموس المسيح، ولا هو مستعد حتّى للاستماع إليه. قد يسأل البعض، كيف يصل الإنسان إلى نقطة ولادة الرغبة بالسير نحو اللّه على طريق المسيح؟ ما الذي يفعله الإنسان حتى يطبع الناموس نفسه في قلبه، فيتصرّف المرء بحسب هذا الناموس من نفسه وبدون تكلّف، فلا يكون الناموس حملاً عليه بل يبدو وكأنه نابع منه؟ لكن لنفترض أن شخصاً ما تَحوّل نحو اللّه، ولنفترض أنه توصّل إلى محبة ناموسه. هل سوف ينجح التحوّل إلى اللّه، وهو ضروري جداً، والسير على طريق المسيح لمجرّد أننا نرغب به؟ لا. إلى جانب الرغبة، ينبغي امتلاك القوة والمعرفة للتصرّف. على المرء أن يمتلك حكمة ناشطة.

مَن يدخل الطريق التي ترضي اللّه، أو مَن يبدأ بمعونة النعمة بالجهاد نحو اللّه على طريق ناموس المسيح، سوف يكون مهدداً، بشكل لا يمكن تلافيه، بأن يضيّع الطريق عند كل مفترق، بأن يضلّ ويهلك فيما هو يتخيّل أنّه مُخلَّص. هذه المفترقات لا يمكن تلافيها لأن الميول الخاطئة والاضطراب في قدرات الإنسان قادرة على تقديم الأمور بضوء زائف، أي خداع الإنسان وتدميره. إلى هذه ينضمّ تملّق الشيطان المتباطئ بالابتعاد عن ضحاياه، فإذا انتقل إلى **نور المسيح** واحد من الذين تحت سلطانه، يلحق به ويستغلّ كل الطرق للإمساك به مجدداً، وغالباً ما ينجح بذلك.

بالنتيجة، ضروري لكل مَن امتلك الرغبة بالسير على الطريق المذكور إلى الرب، بالإضافة إلى هذه الرغبة، أن يرى كل الانحرافات الممكنة على هذا الطريق، حتى يتنبّه المسافر مسبقاً، ويرى الأخطار التي قد يصادفها، فيعرف كيف يتجنبها.

هذه الاعتبارات العامّة التي لا يمكن تلافيها على طريق الخلاص تجعل مما لا مفرّ منه بعض القوانين التوجيهية للحياة المسيحية والتي بها تتحدد هذه الحياة: كيف البلوغ إلى الرغبة الخلاصية بالشركة مع اللّه والغيرة للبقاء في هذه الشركة، وكيف البلوغ إلى اللّه من دون محنة عند كل المفترقات الموجودة على الطريق وعند كل خطوة. بتعبير آخر، كيف المباشرة بسلوك الحياة المسيحيّة وكيف، بعد الابتداء، بلوغ الكمال فيها؟

إن بذار الحياة المسيحية وتطورها مختلفان بالجوهر عن بذار الحياة الطبيعية وتطورها، ذلك بسبب الميزة الخاصة للحياة المسيحية وعلاقتها بالطبيعة. لا يولَد الإنسان مسيحياً بل يصير بعد الولادة. إن بذار المسيح يقع على تربة القلب الذي ينبض أصلاً.

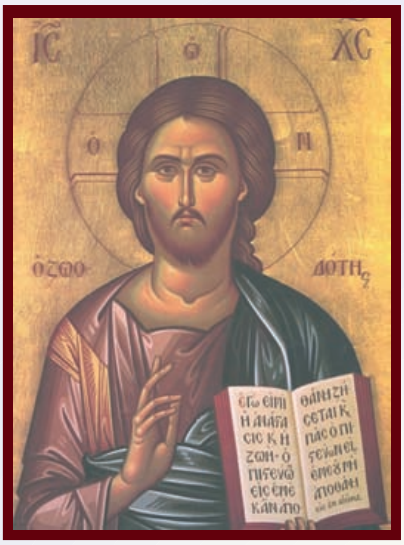

على سبيل المثال، تكون بداية الحياة في تنشيط الشطأ في التربة، أي إيقاظه وكأنه قوة نائمة، بينما الإنسان المولود طبيعياً يواجهه مطلب المسيحية فتكون بداية الحياة المسيحية نوعاً من إعادة الخلق ومنح قوى جديدة وحياة جديدة.

علاوة على ذلك، لنفترض أن المسيحية أتت كقانون، أي أن القرار صدر بعيش حياة مسيحية: بذار الحياة (هذا القرار) ليس محاطاً في الإنسان بعناصر محببة إليه. وإلى جانب هذا، كل الأنسان، جسداً وروحاً، يبقى غير متأقلم مع الحياة الجديدة، وغير مستسلم **لنير المسيح**. وبالتالي من هذه اللحظة يبدأ الإنسان عملاً من العَرق، عملاً ليربّي كامل نفسه وكل قدراته بحسب معايير المسيح. لهذا السبب، فيما الثمر في النباتات، على سبيل المثال، هو تطور تدريجي لكل المَلَكات، سهل وغير مقيّد، **في المسيحي هو معركة مع الذّات** فيها الكثير من العمل، **صعبة ومحزنة**، وتتطلّب منه أن يعرّض مَلَكاته لأمور هي لا تميل إليها. كمثل جندي، عليه أن يأخذ كل جزء من الأرض، حتى ما له، من أعدائه عن طريق الحرب، بالسيف ذي الحد المزدوج أي إرغام نفسه ومواجهتها.

بالنهاية، بعد أعمال طويلة وجهادات، تظهر المبادئ المسيحية منتصرة، حاكمة بدون معارض. وهي تتغلغل في كل تركيبة الطبيعة البشرية، طاردة منها التطلبات والميول العدائية، وواضعة في مكانها حالة من اللاهوى والطهارة، جاعلة إياها مستحقة لبركة طهارة القلب، أي أن ترى اللّه في ذاتها في الشركة الأكثر إخلاصاً معه.

هذا هو مكان الحياة المسيحية فينا. ولهذه الحياة ثلاث درجات ممكن ذكرها: **التحوّل إلى الله، التطهّر أو تغيير الذات، القداسة**.

في المرحلة الأولى يتحوّل الإنسان من الظلمة إلى النور، من سلطة الشيطان إلى اللّه. في الثانية، يطهّر غرفة قلبه من كل نجاسة حتى يستقبل المسيح السيد الآتي إليه، في الثالثة، يأتي الرب، يأخذ مسكنه في القلب ويشترك مع الإنسان. هذه هي حالة الشركة المباركة مع اللّه، وهدف كل الأعمال والمساعي النسكية.

وصف كل هذا وتحديد قوانينه يعني تحديد طريق الخلاص.

إن الإرشاد الكامل في هذا الأمر يأخذ الرجل الواقف على مفترق طرق الخطيئة، يقوده عبر طريق **التطهر الملتهب**، ويرفعه إلى درجة الكمال التي يمكنه إحرازها بحسب درجة نضجه في المسيح. وهكذا نظهر كيف تبدأ الحياة المسيحية فينا، كيف تكتمل وتنضج وتتقوّى، وكيف تظهر ذاتها في كمالها .

شجرة المعرفة وشجرة الحياة

الميتروبوليت إيروتيوس فلاخوس

تقول إحدى طروبريات عيد الميلاد أن المسيح، بتجسده، هو شجرة الحياة. طروبارية تقدمة الميلاد مميزة، فهي تقول:

«استعدي يا بيت لحم، فقد فُتحَت عدن للجميع، تهيئي يا أفراثا، لأن عود الحياة قد ظهر في المغارة من البتول. لأن بطنه قد ظهر فردوساً عقلياً فيه الغرس الإلهي، الذي إذ نأكل منه نحيا ولا نموت، المسيح يولَد منهضاً الصورة لتي سقطت منذ القديم».

في هذه الطروبارية، **آدم الجديد** الذي هو المسيح يقابل **آدم القديم**. آدم الأول أكل من الشجرة، فقد الفردوس وبهذا **سَبَّبَ المرض** لكل الجنس البشري مع دخول الفساد والموت، بينما **آدم الجديد**، الذي هو المسيح شجرة الحياة، فيعطي الحياة لكل الذين سوف يتّحدون به. الفردوس الجديد هو رحم والدة الإله، وبالطبع الكنيسة، وشجرة الحياة هو المسيح نفسه. يمكن للمتحدرين من آدم أن يأكلوا من هذه الشجرة ويتمتعوا بالحياة الحقيقية.

في ما يلي سوف أعرض ما كانت عليه شجرة الحياة هذه في الملكوت وكيف صار المسيح بتجسده شجرة الحياة بالنسبة للبشر.

أ) الشجرتان في الفردوس الأصلي

يحفظ العهد القديم بعض الإشارات عن حياة آدم وحواء المباركة في الفردوس. بحسب تعليم الآباء القديسين، الفردوس كان حسياً وعقلياً. كان عقلياً لأنه كان شركة الإنسان مع اللّه، لأن نوس آدم كان في حالة من الاستنارة بعد الخلق، وبقوة اللّه وتكافله كان قادراً على بلوغ التألّه. والفردوس كان حسياً أيضاً لأنه كان مكاناً محدّداً.

كان في الفردوس أشجار كثيرة، لكن إثنتين منها كانتا مختلفتين. الأولى كانت شجرة المعرفة التي أُمر آدم بألاّ يأكل منها. « وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجَر الجنّة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنها يوم تأكل منها موتاً تموت » (تكوين٢:١٦-١٧).

الشجرة الأخرى كانت شجرة الحياة. يقول العهد القديم، أنه بعد أن عصى الإنسان وأكل من شجرة معرفة الخير والشرّ، طرده اللّه من الفردوس.«فطرد الإنسان وأقام شرقيَّ جنّة عدن الكروبيم ولهيب سيف منقلب لحراسة طريق شجرة الحياة» (تكوين ٣:٢٤). إن سبب طرد اللّه للإنسان بعد عصيانه كان أنه بعد سقوطه لم يكن مسموحاً له أن يأكل من شجرة الحياة. «وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار واحداً منّا عارفاً الخير والشرّ. والآن لعلّه يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد» (تكوين٣:٢٢).

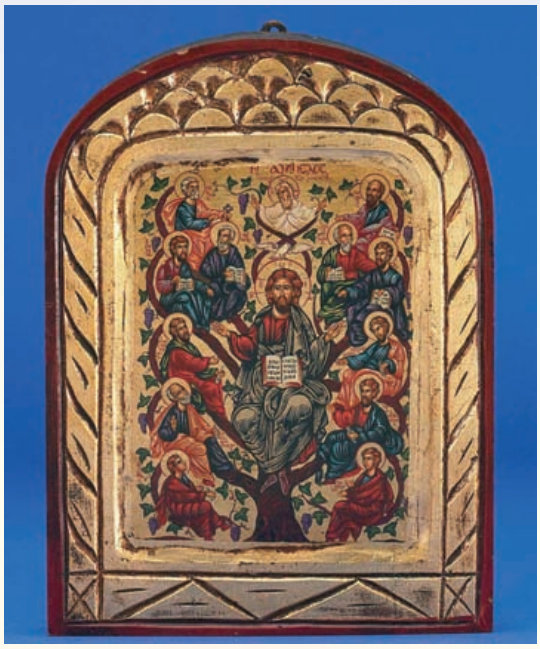

إذاً يظهر أنه كان في الفردوس شجرتان ذات معنى وهدف استثنائيين، شجرة معرفة الخير والشر وشجرة الحياة. من واحدة أكل الإنسان ومات ومن الأخرى كان الإنسان ممنوعاً أن يأكل حتى لا يبقى في حالة السقوط والشرّ إلى الأبد. وهكذا نرى هنا محبة اللّه للجنس البشري. فهو يطرد الإنسان من الفردوس حتى لا يبقى عرضةً للموت إلى الأبد، بل ليتوب وفي الوقت المناسب، بتجسّد ابن اللّه، يتذوّق شجرة الحياة ويتخطّى الموت ويدخل مجدداً إلى الفردوس. إذاً طرد الإنسان من الملكوت لم يكن عقاباً من اللّه، بل عمل محبة وإحسان.

ب) التفسير الآبائي للشجرتين

إن الآباء القديسين، في تفسيرهم للكتاب المقدس في إطار حياة الكنيسة وخبرتهم الشخصية، سلّموا إلينا تحاليل تفاسير ممتازة عن هاتين الشجرتين.

علينا أن نشير أولاً إلى تفسير القديس غريغوريوس اللاهوتي لمعرفة الخير والشرّ. في إحدى عظاته يقول أن هذه الشجرة لم تكن مغروسة في الشرّ ولا محرَّمَة بسبب الغيرة. هذا يعني أن كلّ ما خلقه اللّه لم يكن شريراً بل كان حسناً جداً. لم يُمنَع الإنسان من الأكل من هذه الشجرة بسبب الحسد خشية أن يبلغ التألّه. إلى هذا، هذه الشجرة كانت رؤية اللّه. «**لأن النبتة كانت رؤية النور**». كان الإنسان ليأكل في الوقت المناسب، لأنه كان بحاجة لأن يتدرّب روحياً، وهذا ما يشكّل **تألّهه**. لقد منعه اللّه من أن يأكل منها لأنه لما كان ما زال غير كامل ولم يكن بعد مهيئاً كما بشكل ملائم، كما أن الطعام الكامل الجامد يسبب الأذى للذين ما زالوا في حاجة للحليب.

الأمر السيء كان أن آدم أكل من شجرة المعرفة «**في الوقت الخطأ، بشكل غير ملائم**». وبما أنه أضاع العلامة وخسر النعمة الإلهية، كان ضرورياً ألاّ يأكل من شجرة الحياة أيضاً، حتى لا يثبت بشكل دائم في السقوط والموت. إن طعم شجرة الحياة كان «**عظيماً وباهراً**»، ولهذا السبب أمر الرب بأن تُحرَس، ليس من الملائكة ولا رؤساء الملائكة ولا الرئاسات والسلطات ولا القوى بل من الشاروبيم من الصف الأول من الملائكة.

يتبع **القديس يوحنا الدمشقي** التقليد نفسه، آخذاً بعين الاعتبار تفسير **القديس غريغوريوس اللاهوتي** الذي يراه بمثابة أبيه الروحي. يكتب الدمشقي أن شجرة المعرفة هي امتحان واختبار ومدرسة لامتحان الإنسان في الطاعة والعصيان. سُمّيت هذه

الشجرة شجرة معرفة الخير والشرّ لأنها تمنح كلّ مَن يأكل منها القوة على معرفة طبيعتها، الأمر الجيّد للكامل والمؤذي لغير الكامل وللذين لا يملكون السيطرة على إحساسهم. أما شجرة الحياة فسُمّيت هكذا لأن عندها طاقة تقدّم الحياة إمّا لمستحقي الحياة أو لغير المستَعبَدين للموت.

إن هذا التفسير من عند **القديس يوحنا الدمشقي** يظهر أن على الإنسان أن يُمتَحَن قبل أن يأكل من شجرة المعرفة ومن ثمَّ يأكل من شجرة الحياة ويحيا أبدياً مع اللّه. من دون الممارسة والتهيئة يستحيل على أيٍ كان أن يبلغ التألّه والشركة مع اللّه.

ج) المسيح الإله الإنسان، شجرة الحياة

لم يكن فشل الإنسان في سلوك درب التألّه التي شقّها اللّه له كارثياً بالنسبة له، أي أنه لم يتحوّل إلى الهلاك الأبدي بشكل نهائي. ما أُخفق في امتحان جنة عدن، حقّقه المسيح بتجسده. من ناحية ثانية، مرّ الإنسان **بتجارب هائلة، ألم عميق وحزن عظيم**. لقد اختبر معنى الموت، وما يعنيه الإبعاد عن اللّه. يكتشف مَن يقرأ كتابات **القديس سلوان الأثوسي** معنى أَسَى آدم. لا يستطيع أن يفهم ويختبر أَسَى آدم إلا مَن أُعطيت له رؤيا اللّه العظيمة ومن ثم فقدها. وعند هذه النقطة نرى قَدْر القديس سلوان. أنا أزداد قناعة أن لهذا القديس لاهوت مهم ومذهل. كلّ مَن يقرأ كتاباته يحسّ بما تكتنزه من القوة العظيمة والحكمة الغنية. لقد كان لاهوتياً بحق لأنه اختبر سقوط آدم وأساه، لكنه اختبر أيضاً الوحدة مع **آدم الجديد**، أي المسيح.

لقد فتح المسيح بنفسه أبواب الفردوس من خلال تجسّده. إنه لا يترك الإنسان يدخل ببساطة، بل إن شجرة الحياة، أي المسيح نفسه، تمضي وتتحرّك نحوه. الآن **بطن والدة الإله**، من حيث اتخذت الطبيعة الإلهية الطبيعة البشرية وقدّستها منذ اللحظة الأولى، هو الفردوس. والكنيسة جسد المسيح المبارَك هي الفردوس العقلي والحسي. كل الذين يعيشون في الكنيسة وهم فعلياً وبشكل فعّال أعضاء جسد المسيح يمكن لهم أن يتذوّقوا شجرة الحياة، وأن يتخطوا الموت ويبلغوا إلى بُعد آخر من الوجود. إذ بمعزل عن المسيح يسيطر ظل الموت ومملكته.

من اتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية في أقنوم الكلمة، تصبح الرحلة نحو التألّه أكثر رسوخاً. إذاً الخلاص الآن ليس مسألة طاعة لوصية اللّه، بل هو شركة الإنسان مع **المسيح الإله–الإنسان**. لذلك في الكنيسة علينا أن نحيا ليس فقط عاطفياً، ولا أن نهدف ببساطة إلى إرضاء أحاسيسنا الشخصية والإنسانية، بل علينا أن نحيا وجودياً متّحدين مع المسيح. ينبغي أن تكون رحلتنا رحلة غلبة الموت. وبالطبع هذا ينجح فقط من خلال تذوّق شجرة الحياة التي هي **المسيح الإله–الإنسان**.

وهكذا إن تجسّد المسيح أوسع من أي افتداء شرعي أو أي تعبير عن محبة خارجية أو عاطفية. إنه تصحيح لمسيرة السقوط، تمتّع بحياة ما قبل السقوط، واستمرار أكثر أماناً للرحلة نحو التألّه. إنه استمرار لقول المسيح: «لقد أتيت لتكون لهم حياة وتكون حياة أفضل»؟؟؟ (يوحنا ١٠:١٠). هذه «الأفضل» هي **تألّه الإنسان**.

د) شجرة الحياة في سفر الرؤيا الحياة

يتحدث سفر رؤيا يوحنا عن شجرة الحياة. يقول المسيح، مشيراً إلى ملاك أفسس: «من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس اللّه» (الرؤيا٢:٧).

القديس أندراوس، اسقف قيصيرية، في تفسيره هذه الآية، يقول أن عبارة «شجرة الحياة» هي إشارة periphrastically إلى الحياة الأبدية التي هي المسيح نفسه: «إنّه الإله الحقيقي والحياة الأبدية». إن الأكل من شجرة الحياة ليس أكثر من «المشاركة بأمور الدهر الآتي الحسنة». سوف يعطي اللّه بركة للأكل من شجرة الحياة للذي يكسب «الحرب ضد الشياطين». وهذا هو النصر على الأهواء التي بها يهاجم الشريرُ الإنسان.

تظهر بعض الحقائق من هذا التفسير.

أولاً: إن شجرة الحياة تتماهى مع الحياة الأبدية والمسيح الذي هو الحياة الحقيقية وشجرة الحياة التي تغذّي كل إنسان.

الحقيقة الثانية: هي أن هذه هي عطية كبيرة مُعطاة منذ الآن للإنسان الذي يحيا في الكنيسة التي هي فردوس النعمة الإلهية الجديد، لكنها في ما بعد سوف تُعطى كزواج للغالبين. إن ملكوت اللّه والحياة الأبدية قد بدءآ. ليست المسألة مسألة حقيقة في الدهر الآتي. فالأبرار يتذوقونها بالفعل. إنها تظهر من الهالات على رؤوس القديسين لأن القديسين رأوا النور غير المخلوق الذي هو الحياة الأبدية وملكوت السماوات، وهم الآن يعيشونه كخطوبة وفيما آنذاك سوف يكون كمثل زواج.

الحقيقة الثالثة: هي أن ملكوت السماوات والاشتراك في شجرة الحياة تُعطى مَن يغلب الشيطان. بالطبع، هذا النصر ليس نصر الإنسان بل هو نصر المسيح من خلال الإنسان. لقد انغلبُ الشيطان والموت والخطيئة بتجسّد المسيح، وهكذا أيضاً قد أعطيت إمكانية الغلبة لكل إنسان يتّحد بالمسيح الغالب.

في أي حال، تظهر أيضاً في كتاب الرؤيا حقيقة أن هدف حياة الإنسان الروحية هي الأكل من شجرة الحياة. هذا يمكن تحقيقه من خلال الاشتراك بجسد المسيح ودمه وسوف ينجّز بشكل أكثر كمالاً في ملكوت السماوات بعد المجيء الثاني.

هـ) الأكل من شجرة المعرفة

في إشارته إلى أكل آدم من شجرة المعرفة، يقدّم القديس نيقوديموس الآثوسي مقارنات بديعة تظهر أن نفس الأخطاء التي

ارتكبها آدم ممكن ارتكابها اليوم ، وبأن المسيحيين المعمَّدين في زمننا هذا مؤهَّلون أيضاً على تذوق شجرة المعرفة.

سقوط آدم يكون عندما يصبح نوس الإنسان مشدوداً نحو اللذات الحسّية ويترك ذكر اللّه. بشكل جوهري هذه هي خطيئة آدم عينها وحالة سقوط آدم عينها. فسقوطه يكمن بشكل أساسي في أن نوسه أظلم ووقع أسير اللذة لأنه لم يتبع وصية اللّه. أسر النوس هو إساءة خطيرة. إنه جوهر كل خطيئة يرتكبها الإنسان.

لا يقدر أحد على أن يدافع عن استحالة الخضوع لقوة الشيطان. لأنه إذا كان آدم غير كامل مع أن اللّه هو مَن أوجده وزيّنه بمواهب كثيرة، فلا يستطيع أحد أن يتباهى بأنه كامل لأنه يلبس الفساد والموت. وإذا كان آدم، الذي لم يكن يعرف الخطيئة، قد نظر باشتهاء وأكل تلك الثمرة السارّة، «فكيف أستطيع أنا الشهواني أن أقول بأني أستعمل أشياء العالم المسرّة بدون هوى وبالتالي أنا لا اسقط؟».

إذا، إن شجرة الحياة وشجرة المعرفة موضوعتان أمامنا في كل يوم. الأولى مُعطاة بوجود الكنيسة التي هي الفردوس الجديد بما تقدمه من الشركة المقدسة وإمكانية بلوغنا التألّه بالنعمة. لكننا نُواجَه بشجرة معرفة الشرّ والخير قبل شجرة الحياة. كل يوم تُمتَحَن حريتنا في ما إذا كنا سوف نتبع ناموس المسيح أو سوف نرفض وصيته، إذا كنا سوف نترك نوسنا يؤسَر بالنعمة الإلهية أو سوف نبقى عبيداً للطبيعة اللطيفة للحواس وأمور المخيّلة.

و) شجرة عيد الميلاد

أظنّ أن عادة تزيين شجرة في عيد الميلاد ليس مجرد عادة أتت من الغرب وعلينا أن نستبدلها بعادات أكثر أرثوذكسية. أنا لم أغص في تاريخ شجرة عيد الميلاد ومكان نشوئها، لكني أظن أنها مرتبطة بعيد الميلاد ومعناه الحقيقي.

أولاً، إنها غير منفصلة عن نبوءة إشعياء « ويخرجُ قضيبٌ من جذع يسّى وينبتُ غصنٌ من أُصوله» (إشعياء١١:١)، لقد كانت هذه النبوءة في فكر القديس قوزما المنشئ عندما كتب عن المسيح بأنه الزهرة التي خرجت من البتول التي من نسل يسى.

الجذر هو يسّى والد داود،
العصا هي النبي داود،
الزهرة التي أتت من الجذر والعصا هي والدة الإله.
والثمرة التي أتت من زهرة السيّدة هي المسيح.

هذا ما يقدمه الكتاب المقدس بشكل رائع. وهكذا فإن شجرة عيد الميلاد يمكن أن تذكرنا بشجرة نسب المسيح كإنسان، محبة اللّه، وأيضاً التطهرات المتتابعة لآباء المسيح. وعلى الرأس النجمة التي هي **المسيح الإله–الإنسان**.

وهكذا، شجرة عيد الميلاد تذكرنا بشجرة المعرفة كما بشجرة الحياة، والأخيرة بشكل خاص. إنها تؤكد حقيقة أن المسيح هو شجرة الحياة وأننا لا نستطيع أن نحقق هدف وجودنا إلا إذا تذوقنا هذه الشجرة «**الصانعة الحياة**». لا يمكن فهم عيد الميلاد من دون الشركة الإلهية. وبالطبع في ما يتعلّق بالمناولة المقدسة، لا يمكن أن تشترك في تألّه المسيح إلاّ إذا كنا قد تغلبنا على الشرير عندما وجدنا أنفسنا مواجَهين بالإغواءات المتعلّقة بشجرة معرفة الخير والشرّ حيث تُمتَحَن حريتنا.

نحن نفرح ونحتفل أنّ عود الحياة قد أزهر في المغارة من البتول والدة الإله مريم ، حواء الجديدة ، والتي أوصتنا نحن الخدّام في عرس قانا الجليل«قالت أمّه للخدّام مهما قال لكم فافعلوه» (يو٢:٥)، فبشفاعتها أيها الرب يسوع حارب عنّا أعدائنا لكي نستطيع بملء المحبّة وبإرادة ثابتة أن نتمّ شوط الإيمان غير منتقص سالكين في وصاياك ، ليتمجد اسمك مع أبيك وروحك القدوس الآن وفي كل مكان وإلى الأبد آمين.

« لا يقدر قصّار أن يبيّض مثلها » (مرقس ٣:٩)، كما ورد في تجلي السيّد المسيح

يفيد أصل هذه الكلمة العبراني معنى **الـدّوس** لأنّ القصّار **يدوس** القماش مع الصابون حتى ينظف الملابس ، وكان العبرانيّون الأقدمون يغسلون ثيابهم في بيوتهم (خر١٩:١٠). وقد استخدم القصّارون في صناعتهم المستعملة للتبييض النطرون (أم ٢٥:٢٠ و أر٢:٢٢) والأشنان (أي٩:٣٠ و أر٢:٢٢ و مل ٣:٢). وكانوا أيضاً يستعملون الطباشير . ولسبب الروائح التي تنبعث من هذه المهنة كان موضع القصّارين خارج المدن ، فكان حقل القصّار بقرب بركة جيحون العليا (٢مل ١٨:١٧ وأش ٧:٣ و ٣٦:٢). وكان لهم موضع عند بركة روجل أيضاً.

أما عمليّة القصر في تلك الأيام فلا نعرف شيئاً عنها إلا من التحليل اللغوي للّفظة ، أو من الصُوَر في الآثار المصريّة. وقد كانت الثياب تُنقَع وتُخبَط بمخباط أو تُدَلّك وتُداس وتُنشَر في الشمس لكي تجف.

وكان القصّار ينظّف الثياب ويُبَيّضها بياضاً ناصعاً. وإذ أصبحت ثياب السيّد المسيح تلمع على جبل التجلي في ـ طور ثابور ـ وُصِفَت بأنّها: «لا يقد قصّار أن يبيّض مثلها» (مرقس ٣:٩).

كلمات روحيّة للراهب پاييسيوس الآثوسي

العودة الى الله والارتفاع من الأرض الى السماء

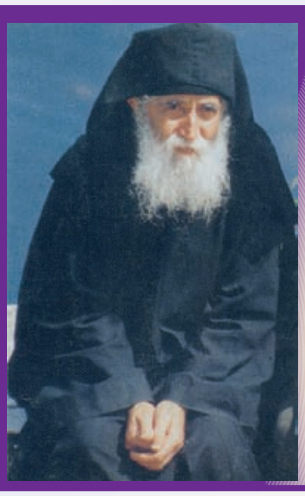

* بساطة الابنية

٦٨– الأبنية البسيطة والمواد المتواضعة تنقل فكر الرهبان الى المغاور والى مناسك آبائنا القديسين البسيطة وهكذا تفيدنا روحيًا . بينما الابنية العالمية تذكّرنا بالعالم وتجعل نفس الرهبان عالمية .

* الجبل المقدّس جبل آثوس

٦٩– كان قديسو الجبل بشرًا مثلنا وكان جبل آثوس موحشًا كسائر الجبال . لكن لكي يجاهد آباؤنا باخلاص تقدّسوا وقدّسوا معهم الجبل أيضًا فسُمّي بالجبل المقدّس ونحن نفاخر الآن بأننا من الجبل المقدّس .

٧٠– آباؤنا القديسون قدّسوا البريّة ، حوّلوها الى موطن روحي بينما نحن للأسف حوّلناها الى موطن عالميّ .

٧١– كل نظام عالمي في الرهبنة هو أيضًا مخالفة روحية كبيرة .

٧٢– لا تَسْعَ يا أخي أن تُكيّفَ هدوء البريّة مع اضطراب نفسك العالمي . بل احترم البريّة لكي تساعدك بهدوئها ، تهدأ أنت أيضًا من أهوائك وتفعل فيك نعمة المسيح .

* الهدوء الداخلي

٧٣– إن أردت ان تصير ناسكًا يعيش ويثبُت في الهدوء ، إقتنِ أوّلاً هدوءك الداخلي وسط الاضطراب الخارجي مصطحَباً بأفكار حسنة .

٧٤– المبتدىء الذي ينفصل عن الاخوة ليحيا في الهدوء يشابه التينة غير الناضجة التي قطعت من الشجرة وما زالت تنضج حليبًا وكأنها تحتاج بعدُ الى الحليب .

٧٥– قديمًا عندما كانت الأكثرية شيوخًا كان الشباب يتقدّمون في حياتهم الروحية . أما الآن ماذا يعمل الشباب حين ان الأكثرية مسنّين (ختايرة) ؟

٧٦– قديمًا كان آباؤنا مجاهدين . يصومون كثيرًا ويفضّلون المسلوق . لهذا كان عندهم قداسة وصحة جسدية . أمّا الآن حين نتحاشى النسك والمسلوق أصبحنا نحن مسلوقين . والدجاجة أيضًا ان لم تضعف وتزيل من سمنتها لما استطاعت ان تطير وان لا يلتقطها الصقر .

٧٧– ينقل المرء على كتفه كيسًا واحدًا Tourva ويقول متى أفرغه كم بالأحرى يكون الحال مع الذي يحمل باستمرار وزنًا فائضًا هذا الذي يأتي من كثرة المآكل ويؤذي الصحة أيضًا ؟

٧٨– الانسان الناسك يرى هزالة جسده كصديق لنفسه ، تساعدها على التقديس . بينما المفرّط في إطعام جسده يجعل منه عدوّاً لنفسه يحاربها . يطلب الشرير حينئذ فرصة ليهاجمه بافكار عدوانية .

٧٩– الخبز بعد الصوم لذيذ . والنوم بعد السهر حلو . وبعد التعب الحجارة القاسية تريحنا أكثر من الفراش الناعم .

٨٠– بقدر ما يتحاشى المرء التعزية البشرية ، بهذا المقدار تقترب منه التعزية الالهية .

* بساطة العيش

٨١– لو كان الناس يعيشون ببساطة ، إنجيليًا ، بالقرب من المسيح ، ويتحلّون روحيًا من الرب لما خنقهم البلبال العالمي الى درجة انهم يتمرمرون من الأدوية النفسية ويذبلون كالأعشاب .

٨٢– بما أن التسهيلات البشرية قد فاقت الحدود وأصبحت مصاعب . كَثُرت الآلات وكَثُر التشتت وحوّلوا الانسان الى آلة . والآن الآلات والمعدّات الحديديّة هي التي تأمر الانسان . لهذا السبب أصبحت قلوب البشر حديدية .

٨٣– التطوّر العالمي (عالم الشَرّ) مع هذه الحريّة الخاطئة أدّى الى هذه العبودية الروحية . أما الخضوع الروحي لارادة اللّه هو حريّة نفسية والمتابعة الروحية فيها ضمانة إلهية .

* الاب الروحي

٨٤– يتحمل الأب الروحي المسؤولية بحسب خضوع التلميذ له .

٨٥– المبتدىء هو ككاسيت مسجّلة فارغة والمسؤولية تقع كلّها على الأب الروحي .

* الطاعة

٨٦– لا يعني الخضوع ان يطيع التلميذ خارجيًا بل أن يُخضع تفكيره لروح أبيه الروحي ، بفرح .

٨٧– من يتمسّك بارادته يطرد إرادة اللّه ويعيق فعل النعمة الالهية .

* المتواضع

٨٨– الانسان المتواضع بما أن لا ارادة له ولا انانية يقتبل الاستنارة. وبما أنه يقبل بتواضع المشورات يصبح أيضًا فيلسوفًا .

٨٩– التلميذ يوقّر معلّمه او يخافه . الخضوع بتقوى (بوقار) هو روحي، أما الخضوع بداعي الخوف فهو نظام عسكري .

تفسير القداس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)

تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

* التي لك ممّا لك نقدّمها لك

لقد أخذ الإنسان العالم من يديّ اللّه هبة مليئة بركات إلهيّة ، وتحدوه الرغبة الآن أن يعبّر اللّه عن امتنانه ، ولمّا كان لا يملك ما يمكنه أن يقدّمه في المقابل ، يُعيد إليه عندئذ الهبة نفسها. هكذا فإنّ العالم الذي وُجد مركبة جملت محبّة اللّه للإنسان، بعودته الآن إلى اللّه ، يغدو مركبَة تحمل شكر الانسان للّه.

نقدّم للّه الهبة التي منحنا إيّاها ونختمها بعرفاننا للجميل. فحراثة الأرض، زرع الكرمة، حصاد العنب ، تخميره وعصره ، تؤلّف كلّها ختم الانسان الذي يمهر به عالم اللّه. رغيف الخبز من القمح ، الخمر الجيّدة ، الزيت الصافي ، هي العالم الذي يعود إلى اللّه محمّلاً بأتعاب الإنسان وجهاده وأفراحه ورجائه.

إلاّ أن هبة اللّه هذه لم تكن بركته الوحيدة لنا ولا العظمى. فاللّه قد أظهر محبّته للانسان بخليقته الأولى وقدّم إليه العالم هبة. وهو الآن يُظهر محبّته للانسان بخليقته الجديدة ، لكنّه هذه المرّة يقدّم ذاته هبةَ للانسان. لذلك لا نقدّم للّه في ذبيحتنا الجديدة مجرّد عناصر ماديّة من هذا العالم ، إنّما نقدّم له المسيح نفسه. فالقرابين الموضوعة على المائدة المقدّسة تعبّر بحقّ عن امتناننا لمحبّته التي ظهرت في الخلق الأوّل للعالم وأيضاً في الخليقة الجديدة بالمسيح. وهذه القرابين هي الدليل على الحريّة التي منحنا إيّاها المسيح مقدّماً ذاته "**فداءً عن كثيرين**". وهذا ما يقوله الكاهن بالضبط ، في قداس القدّيس غريغوريوس اللاهوتي، قبل لحظة تقديس القدسات بقليل: «إليك أقدّم رسم حرّيتي».

ويحمل الإنسان هذه القرابين بيديه ويصعد بها الأنافورا المقدسة نحو أعالي اللّه: "يصعد الطريق المؤدي إلى اللّه مهتدياً بنور ... يصعد بحقّ ... ويسمع أقوالاً لا يُنطَق بها ، ويُعاين مشاهد لا تُرى. يمتلىء عجباً بجملته ... ويجاهد مشتركاً مع المرنّمين الذين لا يعرفون التعب (أي الملائكة) ، صائراً هو نفسه ملاكاً أرضيّاً للّه. به وبواسطته يقود الخليقة بأسرها إلى اللّه".

بالإنسان وبواسطته يبلغ العالم إلى المذبح الفائق على السموات فيتقبّل هو أيضاً نعمة المعزّي التقديسيّة ويغدو جسد المسيح: هذه هي هبة اللّه الجديدة للانسان. والعالم يصبح الآن مكان لقاء المخلوق وغير المخلوق. يصبح سرّاً شكريّاً. ويتناول الإنسان "الطعام الشكري" ، المسيح ، ويغدو مسيحاً.

هكذا هي محبّة اللّه للانسان حتّى أنّه يتقبّل منّا العطايا التي هو وهبنا إيّاها، كما لو كانت خاصّتنا. ونحن نعترف بواجبنا تجاه محبّته. إنّه واجب يصعب التعبير عنه.

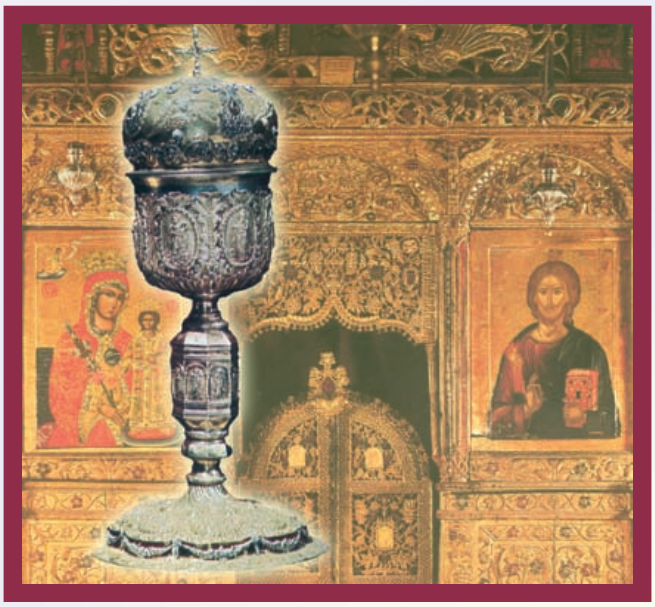

"التي لك ممّا لك نقدّمها لك ونشكرك". "إليك نقدّم تلك التقدمة نفسها التي قدّمها ابنك الوحيد، إليك أنت اللّه والآب. وبها نشكرك لأنّ ذاك (المسيح) قَدْ شَكَرَكَ عند تقديمه إيّاها ... كلّ ما نقدّمه لك قد منحتنا إيّاه ممّا لك. إنّها لك على كلّ شيء ومن جهة كلّ شيء. وبتقديمنا للربّ ما هو له ، نشكره على كلّ شيء ومن جهة كلّ شيء.

والغاية التي من أجلها أسّس الربّ السرّ، هي بالضبط كهنوت تذكاره، لأنّ تذكاره يقودنا إلى سرّ الشكر: "اصنعوا هذا لذكري، يقول (المسيح)، كاشفاً لنا علّة تسليم السرّ ... لأنّه عندما تفتكر بما عاناه السيّد من أجلك ، ستغدو أكثر حكمة "كما يقول الذهبيّ الفم" . وتذكار الاحسان يفرع سرّ الشكر ، وسرّ الشكر يجعلنا أكثر حكمة ، أي يجعلنا أصدقاء المسيح الذي هوحكمة اللّه ونحن نشكر على الدوام و "كلّ حين وعلى كلّ شيء، باسم ربّنا يسوع المسيح، اللّه والآب".

ويقول **الكاهن** بصوت منخفض: أيضاً نقدّم لك هذه العبادة الناطقة وغير الدمويّة. ونطلب ونتضرّع ونسأل. فأرسل روحك القدّوس علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة أمامنا.

الشماس: بارك يا سيّد الخبز المقدّس.

الكاهن: واصنع أمّا هذا الخبز فجسد مسيحك المكرّم.

الشماس: آمين. بارك يا سيّد الكأس المقدّسة.

الكاهن: وأمّا ما في هذه الكأس فدم مسيحك المكرّم.

الشماس: آمين. باركهما كليهما يا سيّد..

الكاهن: محوّلاً إيّاهما بروحك القدّوس.

الشماس: آمين. آمين. آمين.

* قوّة الروح القدس المظلّلة

قبل البدء بالأنافورا المقدّسة ، يجري هذا الحوار بين الكاهن والشعب ، في القدّاس الإلهيّ للقدّيس يعقوب:

الكاهن: عظّموا الربّ معي ولنرفع اسمه بقلب واحد.

الشعب: الروح القدس يحلّ عليك وقوّة العليّ تظلّلك.

هذا الحوار يذكّرنا بما جرى بين المُنعَم عليها والدة الإله ورئيس الملائكة جبرائيل في يوم البشارة.

القدّاس الإلهيّ بجملته هو عيد بشارة جديد ، حيث الكنيسة تحتّل مكان والدة الإله الكليّة الطهارة. فالكاهن بقوله: "أرسل روحك القدّوس علينا" يردّد بشكل من الأشكال ما قالته الدائمة البتوليّة: "ها أنذا أمة للربّ، فليكن لي بحسب قولك" وعليه تُقام خدمة بشارة الكنيسة الوالدة للّه.

وكنيستنا المقدّسة تغدو بسرّ الشكر الإلهيّ أُمّـاً والدة للّه ينحدر الروح القدس عليها وعلى قرابينها الإلهيّة فيتمّ الحبل بكلمة اللّه بحال سريّة. يولد الأزليّ ويقدّم "من أجل حياة العالم". وتقتبل الكنيسة ما تمّ بحسب "ما قيل لها من قِبَل الربّ" : "هذا هو جسدي ... هذا هو دمي".

في الحقيقة لقد أعطى الربّ وصيّة لتلاميذه أن يكهنوا العشاء لتذكاره لكنّه "كان مزمعاً أن يمنحهم القوّة ليستطيعوا إقامته" ، أي أن يمنحهم الروح القدس. "فهذا السرّ هو عمل انحدار الروح القدس ، لأنّ الروح القدس لم ينحدر مرّة واحدة ثم تركنا بعدها ، بل هو معنا وسيبقى إلى الأبد ... فهو الذي يتمّم الأسرار بيد الكهنة ولسانهم".

" وتغدو القوّة المظلّلة ، قوّة الروح القدس عند استدعائه ، مطر هذه الفلاحة الجديدة" كما يكتب القديس يوحنا الدمشقي.

وحلول الروح القدس "علينا وعلى القرابين المقدّسة" هو جواب اللّه على توسّل أولادة. إنّه الضمانة أنّ اللّه يعتبرنا أولاده ، وأنّ هذه القرابين قد غدت مقبولة لدى محبّته. ويقول الذهبيّ الفم: "لا يبقَيـنَّ لديك شكّ في شأن مصالحتك مع اللّه، عندما ترى الروح القدس منحدراً بغزارة.

"بإمكاننا نحن أن نقيم العنصرة دوماً بالقدّاس الإلهيّ، فلحظة انحدار المعـزّي هي العنصرة الشكريّة: "فهذا الزمن (زمن سرّ الشكر) يشير إلى ذاك (زمن العنصرة) ويرمز إليه. حضور المعزّي يجمع شعب اللّه حول المائدة المقدّسة. يجمع رابطة الكنيسة الشاكرة: "لو لم يكن الروح القدس حاضراً لما تكوّنت الكنيسة وتألّفت. وبما أن الكنيسة موجودة ، فمن الجليّ أنّ الروح القدس حاضرٌ ومستقرٌّ فيها.

"كان **المتوشّح باللّه سمعان اللاهوتي الحديث** يقول، كما لو كان يتحدّث عن شخص آخر، راغباً في أن يخفي نفسه: سمعتُ أحد الكهنة المتوحّدين الذي أمّنني سرّه أنه لم يكهن يوماً دون أن يرى الروح القدس، كما كان يراه عندما وردَ عليه حينما رسمه الأسقف كاهناً في الوقت الذي كان يتلو فيه الأفشين ممسكاً بكتاب الأفخولوجي فوق رأسه الحقير. فسألتهُ كيف رأى الروح القدس في رسامته وبأيّ شكل؟ فأجابني أنّه رآه على نحو بسيط وبدون شكل ، بمظهر نور ... وإذ تعجّب ممّا يحصل ... قال له ذاك (أيّ الروح القدس) بحال سريّة: على هذا النحو آتي إلى سائر الأنبياء والرسل والقدّيسين وإلى مختاري اللّه الذين يعيشون في الوقت الحاضر. لأنّي أنا هو روح اللّه القدّوس. له العزّة والمجد إلى الدهور. آمين.

الكاهن بصوت منخفض يقول: لكي يكون للمتناولين لانتباه النفس، ومغفرة الخطايا ، وشركة روحك القدّوس وكمال ملكوت السموات ، والدالة لديك ، لا لمحاكمة ولا لإدانة. أيضاً نقرّب لك هذه العبادة الناطقة من أجل المتنيّحين بإيمان، الأجداد ، والآباء ، والأنبياء ، والرسل ، والكارزين ، والمبشّرين ، والشهداء ، والمعترفين ، والنسّاك ، وكلّ روح صدّيق توفّي بإيمان.

ويعلن قائلاً: وخاصّة من أجل الكليّة القداسة الطاهرة الفائقة البركات المجيدة سيّدتنا والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم.

والشعب: يرتّل: بواجب الإستهال حقّاً نغبّط والدة الإله الدائمة الطوبى البريئة من كلّ العيوب أمّ إلهنا ، يا من هي أكرم من الشيروبيم وأرفع مجداً بغير قياس من السيرافيم ، يا من بغير فساد ولدت كلمة اللّه ، حقّاً أنّك والدة الإله إيّاك نعظّم.

* وخاصّة من أجل الكليّة القداسة الطاهرة

نقدّم سرّ الشكر "لأجل كلّ القدّيسين وخاصّة الكليّة القداسة". أي أنّنا نقدّمه أوّلاً لكي نكرّمهم ، وثانياً لكي نشكر اللّه الذي منحنا إيّـاهم لكي يتشفّعوا بنا. فالقدّيسون أنفسهم يؤلّفون "**شكراً**" يرفعه الجنس البشريّ لأجل الإحسانات الإلهيّة. كذلك هي العذراء ، ولكن على نحو فائق، لذلك نكرمها على نحو خاصّ.

السيّدة العذراء هي قمّة خليقة محبّة اللّه. "**محبّة مثيرة للدهش، مميّزة ، كاملة ، إلهيّة الجنس ، عمل حكمة اللّه الخلاّقة ونعمته المؤلّهة. إنها القمّة الأسمى لعمل اللّه الخلاّق ، لحكمته ونعمته المؤلّهة ، عمل مميّز مُدهش للغاية ، عمل إلهي الجنس**". السيّدة العذراء هي الحدود الفاصلة بين الطبيعة المخلوقة والغير المخلوقة.

بانصياعها لمشورة اللّه الأزليّة ، استأهلت الدائمة العذريّة أن تصير مُرضعة لخالقها. وابنها ـ مسدّداً دينه نحوها ـ قد منحها النعمة أن تصير "مُرضعة لكلّ طبيعة عقليّة وعاقلة ، مانحة بغزارة هبات الروح القدس التي لا يُشبع منها ، لمأكل ومشرب ولكلّ تنعّم وفرح يُمتنع وصفة".

في القدّاس الإلهي ، "المعمدان هو الداعي للعشاء ... وصديق العريس" ، أمّا المسيح فهو العريس وصاحب العرس. وأما العروس التي لا عريس لها فهي شفيعة المدعوّين ومرضعتهم.

يتبع في العدد القادم

دخول والدة الإله إلى الهيكل

للقديس
غريغوريوس بالاماس

• تدبير الله الكلمة في الجسد

١ ـ الشَّجرة الحسنة إنّما تُعرف من ثمرها، فكيف لا تكون والدةُ اصّلاح مولّدة الحُسن الأزليّ إذاً أرفع شأناً بصلاحها من كلّ ما في العالم وممّا فوق العالم؟ ذلك لأنّ القوّةَ التي صنعت كلَّ شيء، إيقونة الصلاح الأزليّة والكلمةَ الكائن قبل الأزل الفائقَ الجوهر والفائق الصّلاح ، قد شاء في محبّته للبشر التي لا توصف ورأفةً بنا أن يلبس صورتنا ، ليعيدَ طبيعتنا التي نزلت إلى أعماق الجحيم ويجدّدها بعد أن عتقت ، ويصعدَها إلى علوّ ملكوته وألوهيته الذي يفوق السموات. شاء أن يتّحد إذاً بطبيعتنا بحسب الأقنوم وكان محتاجاً من ثمّ إلى جبلة جسديّة وإلى بشرة جديدة تكون في الوقت عينه بشرتَنا نحن لكي يجدّدنا ، ولذلك كانَ محتاجاً إلى حَبَل شبيه بحبلنا ، وإلى ولادة شبيهة بولادتنا ، وإلى تغذية بعد الولادة وتصرّف يتناسب وإيّانا ، صائراً بالتّالي على شبهنا لأجلنا.

وهكذا وجد له **أَمَةً ملائمة هي العذراءُ الدائمة البتوليّة** مريم لتمنحه من نفسها طبيعةً لم يلحق بها دنسٌ ، وهي التي نُسَبّحها اليوم مقيمين تذكارَ دخولها العجيب إلى قدس الأقداس، إذ سبق اللّه فعيّنها من قَبل الدهور لأجل خلاص جنسنا وإعادته ، مختاراً إيّاها من بين جميع المختارين المشهود لهم بالتقوى والحكمة والأخلاق الحسنة قولاً وفعلاً.

• سقوط آدم

٢ ـ في البدء قامت ضدَّنا الحيّة العقليّة رئيسة الشّرور فرمتنا في ظلمات الجحيم ، وذلك لأسباب عديدة. فلقد قامت ضدّنا واستعبدت طبيعتنا من جرّاء **حسدها وغيرتها وكراهيّتها وظلمها وغشّها وخبثها** ، فضلاً عن قوّة الموت الكامنة فيها ، ذلك الموت الذي تولّد وحده ما إن أدار الشيّطان وجهه عن الحياة الحقيقيّة.

في البدء أفسدت الحيّة آدم لمّا رأته عائشاً في فردوس النعيم متلألئاً بالمجد الإلهيّ ، موجّهاً من الأرض إلى السماء، وبحسد رديء منها أرادت اقتياده إلى الموت نفسه بعد أن سقط هو بعدل مَن ذلكَ النّعيم. ذلك أنّ **الحسد (أو الشهوة)** ليس هو أبَ الكراهية وحسب ، بل هو مسبّب القتل أيضاً.

هذا ما جلبته إلينا الحيّة بغشٍّ من جرّاء كراهيتها لجنس البَشَر ، إذ قد أُخذَت بحبّ التسلّط عليه عن ظلم من أجل تحطيم ذاك الذي خُلِقَ علىَ صورة اللّه ومثاله. ولمّا لم يكن في وسعها أن تواجه على نحَو مباشر ، استخدمت إزاءه الغشّ. فقاربه الشّيطان العدوّ من ثمّ بنصيحتة اللطيفة الغاشّة عن طريق الحيّة الحسيّة ، وذلك ليَسكُب مشورته في الإنسان كسمّ بهدف إماتته.

• الحاجة إلى آدم جديد

٣ ـ لو تمسّك آدم بالوصيّة الإلهيّة طارحاً المشورة الرّديئة العدوّة لَظَهَرَ غالباً الفساد المُميت ومنتصراً على العدوّ الغاشّ ، إلاّ أنّه تنازل للعدوّ بإرادته وعصى الوصيّة فانغلب وسقط. ولما كان هو أصلَ جنسنا جَعلَنا من ثمّ فروعاً مائتة ، فأصبحنا في عوزٍ إلى النهوض

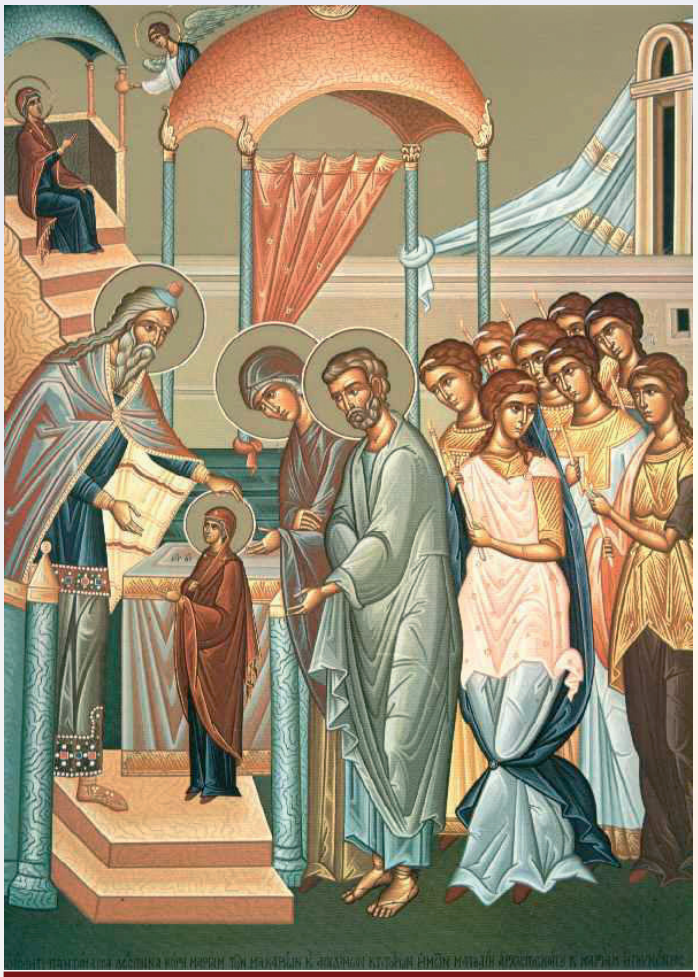

دخول والدة الإله إلى الهيكل

من السّقطة ، وإلى استخراج السّمّ من جسدنا ونفسنا حتى تمتّع بالحياة الأبديّة وعدم التألّم وعدم الإشتهاء من جديد.

إذاً أصبح جنسنا في عوز إلى جذر جديد ، إلى **آدم جديد** لا يموت بل ولا يُغلَب أيضاً ، قادرٍ على غفرَان الخطايا وتبرير المذنبين. صار في عوز إلى من هو حيّ ومُحيي ليعطي الحياة لمن يلتصقون به ويتشبّهون به ، مُعيداً إلى الحياة لا اللاحقين وحسب بل والسّابقين المائتين أيضاً .

٣ ـ لذلك بوّق بولس الرّسول قيثارة الروح قائلاً: «صار آدم الإنسان الأوّل نفساً حيّة وآدم الأخير روحاً محيياً» (١كو١٥:٤٥).

والحال أن ليس بإمكان أحد أن يكون بلا خطيئة مُحيياً قادراً على غفران الخطايا إلاّ اللّه وحدَه. لذلك وجَبَ على آدم الجديد أن يكون إلهاً أيضاً لا مجرّد إنسان ، فهو **حياةٌ وحكمةٌ وعدلٌ ومحبّةٌ وكل صلاح** بحيث يستطيع أن يجدّد **آدم القديم برحمة وحكمة وعدل**، لا سيّما أنّ الحيّة العقليّة أصلَ الشرّ قد استخدمت مَا يُناقض كلّ ذلك لكي تُسقطَنا في العتاقة والموت.

• تدبير الخلاص

٥ ـ في البدء ناهَضَنا قاتلُ الإنسان بدافعٍ من الحسد والكراهيّة ، وبَعدها بادر إلينا رئيسُ الحياة بدافعٍ من مَحبّته للبشر وصلاحه ،

هو الذي أحبّ خلاص جبلته بعدل مُعيداً إليها ما كان لديها من السّلطان ، فيما أحبّ رئيسُ الشرّ هلاكَ خليقة اللّه بظلم مُستبعداً إيّاها ومتسلّطاً عليها. فلقد تغلّب الشرّير على الإنسان وأسقطه بغشٍّ وظلم وخداع وخبث ، أما المحرّر فبعدل وحكمة وحقٍّ قد أتمّ غلبته النهائيّة على الشّر ممجّداً جبلته. إذاً ثمّة حكمة كبيرة كامنة وراء هذا التدبير الإلهيّ كلّه ، إلاّ أنّني لن أستفيض في تفاصيل هذا الموضوع.

• التجسّد

٦ - لقد كان من العدل أن تقوم الطبيعة المستعبدة نفسُها وأن تنهض بإرادتها لمحاربة الشّرير في سبيل الغلبة وإقصاء العبوديّة ، ولذلك ارتضى اللّه أن يتّخذ منّا طبيعتَنا حينما اتّحد بها أقنوميّاً على منوالٍ عجيب.

ولكن ، كان من المستحيل على تلك الطّهارة العلويّة الفائقة العقل أن تتّحد بطبيعتنا المدنّسة ، إذ ثمّة شيءٌ واحدٌ يستحيل على اللّه: أن يتّحد بالدّنس قبل تطهيره. ولذا كان في عوز إلى عذراء بلا عيب طاهرة لتحبل بذاك الذي كان معشوقها ومنبَع الطهارة وتلدَه. وهكذا عُيّنت العذراء مُسبقاً ، ثمّ ظهرت **فتمّ فيها السرّ** عن طريق حوادثَ كثيرة عجيبة تلخّصت في حدث أخير واحد.

٧ - ولهذا الحدث الذي انتهت إليه الأمور كلُّها نُعَيّد اليوم ، لا سيّما وأنّ عظمة الأحداث تُدرَك من نتيجتها. فالذي هو من اللّه وإلى اللّه ، الذي هو اللّه وكلمة اللّه وابنُ العليّ ، الذي هو معه في عدم البداءة والأزليّة هو نفسه يصبح ابنَ الإنسان ، ابنَ العذراء الدائمة البتوليّة. والحالّ أنّ «يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد» (عب١٣:٨). لا يتغيّر بحسب ألوهيّته، ولا عيب فيه بحسب إنسانيّته «**هو هو وحده**» كما سبق وشهد عنه إشعيا قائلاً: «لم يصنع خطيئةً ولم يوجد في فمه غشّ» (إشعيا٥٣:٩). بل ولم يُحبَل به أيضاً في الإثم . كما ولم يولد في الخطايا ، على نحو ما يشهد به داود في المزامير لنفسه ولكلّ إنسان ، بحيثُ يكون طاهراً بلا عيب ولا حاجة إلى تطهير في ذاته ، وحتّى يزوّدنا بالطّهارة من ثمّ مقتبلاً الآلام والموت والقيامة.

• الولادة بلا عيب ولا فساد

إنّ **الشّهوة في سبيل الولادة** تلقائيّة في الواقع ، وغالباً ما لا تخضع لناموس العقل على الرّغم من جهاد البعض ضدّها ومن سعي البعض الآخر إلى حدوثها بصورة طبيعيّة من أجل الإنجاب.

بيد أن هذه **الشّهوة** تحمل في ذاتها سماتَ الحكم على طبيعتنا منذ البدء ولذلك **تُدعى فساداً وتولّد فساداً بدورها**. إنّها مَيلٌ شهوانيٌّ عند الإنسان الذي لم يحفظ الكرامة التي تلقّتها طبيعتنا من اللّه ، ممّا جعله يتشبّه بالبهائم.

٨ - ولذا لم يكتف اللّه بأن يحلّ بين البشر ، بل ورد من عذراء طاهرة قدّيسة ، بل وفائقة الطّهارة والقداسة. ذلك أنّها ليست بتولاً منزّهة عن كلّ دنس بشريّ وحسب ، بل ومنزّهة عن كلّ الأفكار الجسديّة الدنسة أيضاً ، هذا وإنّ تدخلّ الرّوح القدس هو الذي أعطى الحَبَل (لا شهوة الجسد) ، وذلك عن طريق البشارة والإيمان بتأنّس اللّه الذي يفوق كلّ عقل ، بل الذي لا يُعقل ولا يقبل تنازلاً أو اختباراً لشهوة بشريّة. فلقد حبلت العذراء وولدت مقصيّة عنها بالكليّة شهوةَ كهذه ، وذلك عن طريق الصّلاة والبشاشة الرّوحيّة إذ قالت للملاك المُبَشِّر: «ها أنذا أمة للربّ ليكن لي بحسب قولك» (لوقا١:٣٨)، وصارت من ثمّ بتولاً مهيّأةً لكلّ هذا بعد أن سبق اللّه فعيّنها منذ الدهر مصطفياً إيّاها من بين المختارين ، وهذه هي الفتاة **الدائمة البتوليّة** التي نسبّحها الآن.

ميلاد والدة الإله الدائمة البتولية مريم

• اختيار شيت

٩ - وانظر من أين بدأ الإختيار. فلقد اختار اللّه شيت من بين أبناء آدم ، إذ كان يتحلّى بجمال الأخلاق وضبط الحواسّ وبهاء الفضائل ، فبدا من ثمّ سماءً حيّة وأحرز الإختيار الذي ستبرز منه العذراء كمركبة لائقة باللّه السّماويّ لإعادة البشر إلى البنوّة السماويّة.

١٠ - ولما كان الكلّ قد دُعوا أبناءَ اللّه ابتداءً من شيت (تك٤:٢٦) كان على ابن اللّه من ثمّ أن يصير ابنَ الإنسان منذ ذلك الجيل ، لاسيّما وأنّ الإسم يعني لغويّاً «قيامة» أو بالأحرى «من قيامة» ممّا يشير إلى وعد الربّ بالحياة الأبديّة التي سيمنحها للمؤمنين به. فكم كان الرمز مطابقاً للإسم «وقد أصبح شيت بالنسبة إلى حواء بدل هابيل الذي قتله أخوه قاين» (تك٤:٢٥).

هكذا المسيح المولود من العذراء أيضاً قد تجسّد بديلاً عن آدم الذي قتله رئيس الشّرور حسداً. غير أنّ شيتاً لم يقيم هابيل من الموت بل كان مجرّد رمز للقيامة، وأمّا يسوع فقد أقام آدم لأنّه كان حياة النّاس وقيامتهم. ومن هنا نفهم كيف استحقّ خلفاءُ شيت البنّوة الإلهيّة وكيف دُعوا على الرجاء من ثمّ أبناء اللّه.

١١ - إذاً بدأ الإختيار من أبناء آدم الذي منه ستأتي العذراء والدة الإله مروراً بالملك داود النبيّ وأعقاب ذريّته عبر الأجيال ، وهذا التّدبير الإلهيّ هو الذي جعل اللّه يختار من بيت داود وذريّته كلاً من **يواكم وحنّة** ، اللّذين كانا عاقرَيْن ، عائشَيْن بخوف اللّه ، ساهرَيْن على عمل الفضيلة كما يليق بسلالة داود. وكان هذان الزّوجان يطلبان إلى اللّه بالنّسك والصّلاة أن يحلّ عقرهما واعدَيْن بأن يفرزا للّه الطفل المولود ، فاستجاب اللّه لطلبهما وولدت مَن ثمّ الطفلة أمُّ اللّه من والدين تقيّين ، وهذه اكتسبت بدورها الحكمةَ إلى جانب النّسك والصّلاة لتصير والدة البتوليّة ، فولدت بحسب الجسد وبلا فساد مَن هو مولودٌ من الآن قبل الدهور بحسب الألوهيّة ، لاسيّما وأنّها كانت متطايرة بالصّلاة ومتنعّمة بدالة كبيرة لدى اللّه.

• الدخول إلى الهيكل

١٢ - عن طريق الصّلاة إذاً حصَل الوالدان على طلبهما وعاينا تحقيق الوعد، فأسرعا من ثمّ ليوفيا النّذر كونهما صَفيَّين للّه. فبعد الفطام حالاً أتيا بالطفلة العذراء والدة الإله إلى هيكل اللّه حيثُ رئيس الكهنة ، وكانت الطفلة ممتلئة نعمةً منذ ذلك السنّ حتى إنّها كانت تعي ما كان يجري أمام عينيها وتُعَبّر قدر استطاعتها عن

التتمة في ص ٢٣

أبحاث لاهوتية

تدبير الخلاص الإلهي - عند القديس يوحنا الذهبي الفم (٢)

تابع من العدد السابق

٢ـ التجسد والصليب والقيامة والصعود كأساس للإيكونوميا

يظن بعض الباحثين في كتابات وفكر القديس يوحنا الذهبيّ الفم بأنّه (لاهوتي الأخلاقيات)؛ بمعنى أن اهتمامه كان متجهاً بالأكثر نحو الوصايا السلوكيّة أكثر من تركيزه على جوهر التعليم الروحي. وفي الحقيقة لا يستطيع الباحث المطلع على فكر الذهبيّ الفم أن يقبل هذا الرأي، وذلك لأنّ يوحنا مثل شفيعه بولس يخلط بمهارة روحيّة كبيرة ، بين التعليم العقائدي واللاهوتي وبين السلوك بالروح ، وسنرى أنه لا يطلب من الناس تطبيق وصيّة ، قبل أن يقدّم النعمة الساندة (ويسمي الوصايا – إيكونوميّا إنتولي OIKONOMIA ENTOΛAE أي الوصايا المخلّصة أو الحاملة قوّة الخلاص) لها من حياة المسيح وأسرار الكنيسة ، ولعل الرأي السابق يعود **إلى المدرسة الغربيّة في التفسير** ، والتي انفصل فيها التعليم عن الثالوث عن الحياة الكنسيّة ، وانفصلت التعاليم اللاهوتيّة عن السلوك والحياة اليوميّة ، والنعمة عن الأخلاق ، والروح القدس عن حياة المؤمنين. ورسالة رومية في التبرير بالإيمان انفصلت عن رسالة يعقوب في أهميّة الأعمال. مع أن بولس لا يملّ من الدعوة إلى السلوك بالروح والعبادة الروحيّة ومحبّة الأخوة (أنظر رو ١٢) ، ويعقوب لا يكل من الإشارة إلى الإيمان وكلمة الحقّ والنعمة والكلمة القادرة أن تخلّص نفوسكم (يع ١:٨، ٦). والدارس للآباء من خلال كتاباتهم ورؤيتهم من خلال مسيرة الكنيسة الشرقيّة واللاهوت الأرثوذكسي ، لن يجد عندهم هذا الفصام بين التعاليم اللاهوتيّة والسلوك الذي هو نتيجة الصراعات **الغربيّة** بين الكنيسة والواقع اليومي إبّان عصر النهضة والذي اكتشف فيه الإنسان نفسه ، وأمسك زمام أموره بيده ، ووقف وقفة حاسمة ضدّ الخرافات غير اللاهوتيّة ، وهذا ما أدّى بالثورة الفرنسيّة إلى (العلمانيّة أو الدنيوية أو العولمة) في فهم الأمور. ومن أهم مبادىء الثورة الفرنسيّة ، فصل الدين عن الحياة ، وتحوّل التعليم المسيحي إلى **تعليم عن الأخلاق**.

وأما الآباء فقد نجحوا في تحاشي هذه الثنائيّة بين تراث العبادة والحياة الشاهدة والفكر ؛ وفي هذا يقول المطران جورج خُضر (ما توخاه الآباء من الفكر هو القربى فما كان الفكر (اللاهوتي) هذا سوى التعبير عن السفر في اللّه والإقامة فيه. فالعلاقات القائمة بين الأقانيم ؛ هي علاقة محبّة ، وهنا أتجاسر على طرح هذا ، أن يوحنا الحبيب في رسالته الأولى الجامعة ، لما قال «**اللّه محبّة**» (يو ٤:٨) إنما أراد أن يجعل المحبّة الأسم الحقيقي للّه. فاللّه تسمية مأخوذة من اللغات الساميّة ، ومرتبطة بتصوّر للألوهيّة ، قائم في حضارات الشرق الأدنى ، لكن المضمون التوراتي للكلمة هو أن طبيعة اللّه أو وحدته هي المحبّة.

القديس يوحنا الذهبي الفم
رئيس أساقفة القسطنطينيّة

هذا ما رآه القديس كيرللس قديماً. فالكلام عن اللّه ليس مبحثاً نظرياً ولا هو ترجمة فلسفيّة للوحي ولكنه رؤية. الآباء اللاهوتيون في تعليمهم عن السلوك ، تكلموا في الألهيات، والإلهيات تقودهم إلى التأمّل في الجماليات الإنسانيّة أينما وجِدَت ، وهذا نجده واضحاً وسلساً وجليّاً عند يوحنا الذهبي الفم الذي يكتب تعاليم لاهوتية للجميع ، والذي بحنكة ومعاناة وضع لهذه التعاليم أرجلاً تسير عليها على الأرض ، فلم تعد التعاليم هي البحث عن قطة سوداء في حجرة مظلمة ، بل هي **شركة النور الإلهي الذي لا يُدنى منه!** وهكذا أسّس قديسنا الإيمان العامل بالمحبّة ، ولهذا لا يُطالب قديسنا الناس بشيء ، بل يكشف لهم واقعهم المهلهل من خلال الكشف عن عمل اللّه وعطاياه. وفي عظة له عن «**يوم ميلاد مخلصنا يسوع المسيح**» التي ألقاها في أنطاكيه في ٢٥ ديسمبر سنة ٣٨٦م ، يردّ **الذهبي الفم** على الوثنيين الذين يحتقرون التجسّد متهكّماً (هل سكن اللّه في جسد بشري إهانة أم سكنه في الحجارة والخشب. ولعلّ أصحاب هذا الرأي يرون الإنسان أقل وأحطّ من الحجر والخشب ، ونحن نعترف بأن المسيح أخذ جسداً مقدّساً ونقياً من رحم عذراوي ، وهذا الجسد طاهر من كل خطيّة. وهذا لكي يعيد الإنسان مخلوقه إلى رتبته الأولى ويشترك مع هؤلاء المانويين غير الأنقياء الذين يرون أن جوهر اللّه موجود في الحيوان والخشب). ويكرز في موضع آخر: (نحن نتمسّك بالرأي القائل أن اللّه اتخذ لنفسه هيكلاً بشريّاً ، وبهذا الشكل صارت حياتنا مدينة سماويّة ، ويسمي كل هذا "إيكونوميّا" (إنه من الأقدس والأكرم أن يسكن اللّه جسد مقدّس ، وهذا يجلس الآن عن يمين عرش الآب المهيب. والسؤال هل في هذا التدبير ما يحط من كرامة اللّه في شيء).

الدليل على أن التجسّد عند الآباء هو منهج حياة لاهوتيّة متاحة

للجميع ، وليس نظريات أكاديميّة ينفرد بها القلّة ، نقول أن هذا الدليل نجده في نفس العظة ، حينما ينتقل بسلاسة وبدون تكلّف من الحديث عن التجسّد إلى الحديث عن الإفخارستيّا وضرورة التناول من جسد الرب ودمه ، **ويسميها المائدة المقدّسة والميستاجوجيّة (السريّة) التي للإفخارستيّا المقدسة** ، وكيف أنّه يجب أن نتقدّم إليها **بخوف ورعدة وصوم وصلاة وضمير نظيف**. ويسمي الإفخارستيّا **(دواء يخلّص من الأوجاع)**.

وبخصوص الإفخارستيّا وعلاقتها بالعقائد الخلاصيّة ، يقول الذهبيّ الفم في تفسيره للإصحاح السادس من إنجيل يوحنا الحبيب ﴿من يأكل هذا الخبز يحيا إلى الأبد﴾. والخبز هنا يشمل العقائد الخلاصيّة. وعن الأثر الروحي الذي يحدث في المتناولين ﴿نحنُ نخرج من المائدة المقدّسة كالأسود﴾.

وينتقل من التجسّد والإفخارستيّا إلى الحياة العمليّة والسلوكيّة ، وذلك في نهاية العظة: ﴿ويجب أن تفعلوا كلّ شيء بخوف اللّه حتى لا تجلبوا على أنفسكم بسبب عدم مبالاتكم غضب اللّه ﴾. وفي عظة أخرى عن ميلاد المخلّص يقول في بدايتها: ﴿إنّ القوات السمائيّة تتهلّل لأنّهم يرون اللّه على الأرض والإنسان في السماء. ويرون ذاك الساكن في أعلى السموات يسير على الأرض، وذلك بسبب (الإيكونوميّا) تدبيره من أجل الإنسان ، لكي يرفعه من الأرض ويضعه عالياً في السماء ، وذلك بسبب أنه محبٌ البشر واليوم صارت بيت لحم مساوية للسماء﴾. ويردّ قديسنا على العقلانيين الذين يسألون عن كيفيّة حدوث ذلك: ﴿ ولا تسأل كيف حدث ذلك ، لأنّه حيثُ تُعلَن مشيئة اللّه تُهزم القوانين الطبيعيّة ﴾. ويحاول بكل تقوى وإخلاص عقلي وروحي أن يقترب من سرّ التدبير الإلهي: ﴿يجب علينا أن نبحث الظواهر الطبيعيّة، وأن نحترم بصمت الظاهر فوق الطبيعة ، وذلك ليس لأنها ممنوعة على البحث ، ولكن لأنها تشكّل سرّاً ، وهو ما نقدّم له الإحترام الواجب بالصمت اللائق﴾. وهذا يذكّرنا بموقف **القديس كيرللس الكبير** في بداية تفسيره لإنجيل يوحنا حينما يقول أن خير ما نواجه به هذا السرّ هو الصمت ، ويقول اللاهوتي المعاصر قسطنطينوس باباتروس في دراسته الهامّة عن تفسير **القديس كيرللس الكبير** لإنجيل يوحنا الحبيب ﴿إن الموقف الإنساني الصحيح أمام السرّ الإلهي هو موقف الصمت والتمجيد﴾ ، ويذكر أن كلمة أرثوذكسيّة معناها (التمجيد الصحيح) ؛ أي أن التمجيد الصحيح يسبق الرأي السّديد ، والعبادة والسجود بالروح تمهّد الطريق لرؤية سديدة ، والصمت أمام السرّ الإلهي عند الآباء ليس هو حالة نفسيّة من البلاهة العقليّة ، بل هو عمل دؤوب وتوبة قلبيّة ، وتقديم الجسد في عبادة عقليّة (أنظر رو١٢).

وينتقد الذهبي الفم طريقة البحث العقلانيّة والحرفيّة التي تعيق انطلاق الروح حينما يقول: ﴿بينما يفحص اليهود حرفيّة الكتاب تستمتع الأمم بثمر الروح﴾. ويستمر في التمعن في السرّ ليقرّبه من أذهان السامعين فيقارن مقارنة رائعة بين آدم والعذراء: ﴿فكما صار لآدم إمرأة بدون إمرأة (أم) هكذا العذراء اليوم ولدت رجلاً بدون رجل (أب)﴾.

وعن الصليب ونزول الرب إلى الجحيم يستمر واعظ أنطاكية المفوّه في التعمّق في فهم سرّ التدبير: ﴿اليوم الرب افتقد الذين في الجحيم وكسَرَ مصاريع النحاس (مز١٠٦:١٦) ولنلاحظ أن المرنم لم يقل (فتح الأبواب النحاسيّة)، بل (كسر) فهو لا يرفع الآلام بل يسحقها!﴾.

ويقارن مرّة أخرى بين سبب هزيمة آدم وانتصار المسيح! ﴿إنّ أسباب هزيمتنا كانت **ثلاثة: عذراء ، وخشبة وموت**. العذراء كانت حواء لأنها لم تكن بعد قد عرفت زوجها. والخشبة هي شجرة. والموت هو عقاب آدم. ومرّة أخرى صارت الثلاثة رموز للأنتصار ، فبدلاً من حواء عندنا **العذراء مريم** ، وعوضاً عن شجرة أو خشبة معرفة الخير والشرّ نجد **خشبة الصليب** ، وبدلاً من موت آدم نلتقي **بموت المسيح** على خشبة الصليب . وهكذا هَزَمَ الشيطان بنفس أسلحته وفي عقر داره﴾.

ويقدّم لنا خادم الصليب أنشودة رائعة في الصليب:

+ الصليب رمز النصرة على الشياطين
+ الصليب سيف حاد ضد الخطيّة.
+ الصليب هو إرادة اللّه الآب.
+ الصليب هو مجد الإبن الوحيد.
+ الصليب هو فرح الروح القدس.
+ الصليب هو زينة الملائكة.
+ الصليب هو أمان الكنيسة.
+ الصليب هو فخر بولس الرسول.
+ الصليب هو ملجأ القديسين.
+ الصليب هو نور المسكونة.
+ الصليب هو الحربة التي طَعَنَ بها المسيح الحيّة.

ويختم العظة بنصائح عن كيفيّة التقدم إلى الأسرار المقدّسة. وكما طالب بالصمت أمام سرّ التدبير في الميلاد والصليب ، يدعو بالصمت نفسه أمام الجسد والدم الأقدسين. وفي عظة أخرى عن الصليب واللص اليمين ، يعتبر أن الصليب هو الذبح ، والمسيح هو الكاهن الأعظم (قارن مع الرسالة إلى العبرانيين)، وهو الذبيحة في الوقت نفسه. ويتأمّل في سبب صلب المسيح خارج المحلة ، أو خارج المدينة ، بأن ذلك يعني أن ذبيحة المسيح لها **مدلول كوني** وليس فقط محليّ . وينهي عظة الصليب الرائعة بأننا يجب أن نقتدي بالربّ ونسامح أعداءنا بل ونصلي من أجل خيرهم.

وفي عظة أخرى عن القيامة يُقارن بين موت آدم وموت المسيح وقيامة آدم وقيامة المسيح فيقول: ﴿هل ترى إنجازات قيامة المسيح؟ المسيح مات مرّة واحدة وقام مرّة واحدة ، بينما آدم مات مرّتين وسيقوم مرّتين. كيف؟ سوف أشرح لك ... آدم مات نفسيّاً وجسديّاً (تك٢:١٧). وفي يوم الأكل من الشجرة لم يعرف آدم الموت الجسدي ، ولكن موت الخطيّة الذي نسميه الموت النفسي وبعدها مات جسدياً. وحينما أقول ماتت نفسه، لا تظن أن النفس تموت فالنفس خالدة ، ولكن موت النفس هو الخطيّة والعقاب الأبدي﴾. وهذه الرؤية الرائعة لفعل القيامة تعيشها كنيستنا الروميّة خلال الآحاد كلّها بترتيلها طروباريات القيامة الثمانية. فالتسبيح والشكر والتمجيد يشكّل وسائط للأقتراب من سرّ التدبير الإلهي.

يتبع في العدد القادم

القديسة العظيمة في الشهيدات كاترينا

هي تلك العذراء الشريفة القديسة المثقّفة المتقدة غيرةً على الإيمان ، المشرقة بطلعتها الملائكيّة ، التي أصبحت مجد العذارى المسيحيّات بنقاوة حياتها، وفخر الكنيسة التي انبتت في جنانها وتنبت في كل يوم امثال هذه الوردة الفواحة.

* حداثتها:

ولدت كاترينا في أواخر القرن الثالث للمسيح في مدينة الأسكندرية التي بناها الأسكندر الكبير والتي تحمل إسمه. وكانت من أشرف أُسَر تلك العاصمة المصريّة العظيمة ، واقدرها ثروةً ، وأعظمها شهرةً. ويقول المؤرخ سمعان المترجم أن اسرتها كانت من سلالة الملوك. لكن غنى تلك العيلة الحقيقي كان في تقواها. لأنّ الفضائل المسيحيّة كانت اللآلىء الحسنة الثمينة التي كانت تتزيّن وتباهي بها. وهكذا نشأت كاترينا منذ الصغر على حبّ الفضيلة ، وشُغفَت بالطهارة الملائكيّة ، وتعلّمت منذ نعومة الأظفار أن تزهد في الدنيا وتحتقر بهارجها واكاذيبها ، وأن تعلّق قلبها بما هو اسمى واكمل ، بما يدوم إلى الأبد.

واقبلت كاترينا أيضاً منذ حداثتها على اقتباس العلوم العصريّة. إلا أنها كانت مثابرةً باجتهاد على قراءة الكتاب المقدّس والتأمّل في حياة يسوع ، وعلى مطالعة سيَر العذارى البتولات الشهيدات. وكانت كلما ازدادت علماً ازدادت ليسوع المخلّص حُبّاً وبه تعلّقاً. تجاوزت سنّ الحداثة ، وكانت لم تقبل بعدُ سرّ العماد ، على حسب العادة المتبعة في تلك الأيام. ففي ذات ليلة رأت في منامها مريم البتول تتقدّم نحوها ، حاملة على ساعدها طفلها يسوع ، وسمعتها تقول له: أنظر إلى ابنتي كاترينا. لكن يسوع أدار رأسه ولم يشأ أن يلتفت إليها وقال لأمّه: انها ليست جميلة لأنها لم تُعَمَّد بعد ، **لكنها بشعة وكلها ملوّثة طالما أنها تحت الموت والخطيئة**. فلمّا أفاقت كاترينا علمَت أنها رؤيا ، وعرفت أن يسوع يريد منها أن تغتسل بماء المعموديّة ، لتصبح عروساً خاصة له. فاعتمدت ونذرت للربّ بتوليّتها. فظهر لها الرب يسوع من جديد ، ومعه والدته وجوقٌ من الملائكة والعذارى ، وأعلن أمامهم أنه اتخذها عروسةً له. ثمّ ألبسها خاتماً في يمينها ، علامة ذلك الوثاق السماوي الروحي. فلما استيقظت كاترينا **ورأت الخاتم في يدها** ، علمت أن تلك الرؤيا كانت حقيقيّة ، فامتلأت نشاطاً في الإيمان ، ومحبّةً فائقة مضطرمة للفادي المخلّص ولأمّه ملكة العذارى ، وتشوّقت إلى بذل دمها في سبيل ذلك العروس الإلهيّ.

ولما كانت كثيرة الذكاء والغيرة على نشر الإيمان المسيحي ، وكانت الأسكندريّة محطّ رجال العلم ، ولا سيّما بسبب تلك المدرسة الشهيرة التي كان أوريجانس الفيلسوف الكبير قد علَّم فيها ، أكَبَّت كاترينا بلهفة على درس علم الفلسفة وعلم اللاهوت ، على أكابر العلماء المسيحيين ، وبرعت فيها حتى أضحت من الأئمة بين فلاسفة ذلك العصر. لكنها مع ما صارت إليه من غزارة العلوم وفصاحة البيان ، بقيت وديعة في أخلاقها ، بسيطة في حياتها ، وضيعة في معشرها ، بعيدةً عن كل صلف وإعجاب بنفسها.

القديسة العظيمة في الشهيدات كاترينا

وبلغت السن الثامنة عشرة ، وأضحت فتنةً للناظرين إلى قدّها ، وجمال طلعتها وسحر عينيها ، ولاسيما إلى ما كان ينبعث من حديثها وحركاتها ومن كل شخصها من الحياء المسيحي ، ومن جمال الفضائل الملائكيّة الأخّاذة التي كانت تقود إليها القلوب صاغرةً. أما هي ، فانها كانت تستخدم تلك القوى التي أودعها اللّه اياها ، للدفاع عن الأيمان وتثبيته في القلوب ونشره بين الجموع.

* كاترينا تدافع عن إيمانها أمام الحكام:

كانت الأمبراطوريّة الرومانيّة نحو ٣٠٧م، مقسّمة بين القياصرة الثلاثة: قسطنطين الكبير ، **ولكينيوس**. وكانت مصر تابعة لأمارة **مكسمينس** الحاكم. وكان هذا القيصر مستبدّاً عاتياً متكبراً ، يبغض المسيحيين ويحلو له الفتكُ بهم وتعذيبهم. فأراد أن يُبهر مصر بغناه وسلطانه ، فأمر بأن تُقام حفلة دينيّة كبرى لم يسبق للبلاد أن رأت مثلها ؛ وأن يُؤتى بالألوف من الغنم والبقر لتُذبح في ذلك الأحتفال الباهر. وأصدر أمراً بأنّ كل من لا يشترك في ذلك الأحتفال وتقدمة الذبائح لآلهة المملكة يموت موتاً.

فارتاع المسيحيّون لَمّا رأوا عهد الأضطهاد يتجدّد ، بعد أن ظنّوه قد باد بموت **ذيوكلسيانس** ،افظع المضطهدين. فإذ رأت كاترينا ذلك وشعرت بأن الرعب قد دبَّ في قلوب المسيحيين ، أخذت تطوف عليهم وتشجعهم وتثبّت عزائمهم ، وتزهّدهم في الحياة وفي نعيم هذه الدنيا طمعاً بأفراح الآخرة. فكان لكلامها أثرٌ عظيم في النفوس ، ولاسيّما وهي تلك الشابة الفاتنة بفضيلتها وبيانها وإيمانها وبهائها وعذوبة حديثها. فاضرَمَت نار الغيرة والحماسة في النفوس.

وأرادت أن تعطي مثلاً عالياً للمسيحيين ، فيُقْدموا على العذاب والموت غير هيّابين متى دعاهم إلى ذلك داعي الواجب ، فذهبت بنفسها إلى المعبد يوم الأحتفال الكبير ، وتقدمت إلى الأمبراطور **مكسمينس** ، وبحضور وزرائه وقواده وكهنة الأوثان الرافلين بالحلل الأرجوانيّة المذهّبة ، وأمام الألوف من الشعب المحتشد ، طلبت إليه أن يسمح لها بالكلام ويسمعها.

فلما رآها **مكسمينس** وقعت في نفسه وقعاً عظيماً. فسأل عنها،

فأخبروه عن نسبها وعن علمها وذكائها. فقربها إليه وأذنَ لها في الكلام. فانطلقت غير وَجِلة ولا هيّابة ، تشرح له وتقول: إنّ عبادة الأوثان هي من الخرافاتَ التي لا يقبلها العقل السليم ؛ والمنطق يبين أنه لا يمكن أن يكون إلا إله واحد ، وهو أصل وسبب كل الموجودات. فإن كان لا يقدر أن يقف هو بنفسه على تلك الحقائق ، فعليه أن يسلّم بما قاله كبار الفلاسفة الوثنيين أنفسهم، الذين علّموا أن اللّه واحد وبيّنوا في كتبهم لماذا ذهب الناس إلى الأعتقاد بكثرة الآلهة. وأخذت تتضرّع اليه لكي يضع حداً لذلك ويعمد إلى عبادة واكرام الأله الحقيقي.

فاستولى على الأمبراطور الذهول من ذلك الخطاب ، ومن تلك الصبيّة التي فتنته بسحر كلامها وقوّة بيانها ورباطة جأشها وبهاء طلعتها. فقال لها أنه لا بأس عليها مما قالت، وانه سوف يتم تقدمة ذبائحه ثم يتفرّغ للسماع لها.

وتحدث الناس كلهم في الأسكندريّة، المسيحيّون والوثنيون، عن جسارة كاترينا وعن اقدامها على مخاطبة الأمبراطور. بذلك الكلام الرائع. فسبَّح المسيحيّون الرب وتثبّتوا في الإيمان. وأخذت العذارى المسيحيّات يباهين بكاترينا رفيقتهن وزميلتهن ، ويجاهرن بالإيمان بالمسيح ويتغنَّين بعذوبة الموت حُبّاً له.

فلما عاد **مكسمينس** الى قصره ، استدعى كاترينا اليه وسألها عن اسمها وعن عملها وغايتها. فأجابته بكل جرأة: أما نسبي، فهو معروف في الأسكندريّة. واسمي كاترينا، وأجدادي هم من أشراف المملكة. لقد وقفتُ حياتي سعياً وراء معرفة الحقيقة. وأني كلما ازددتُ علماً إزددتُ يقيناً أن الأصنام التي تعبدونها هي خرافات سخيفة. ولقد أضحى مجدي وغنايَ في أن انتسب إلى الديانة المسيحيّة. ولا أشهى لديَّ من أراك تعترف بالأله الحقيقي وبيسوع المسيح ، انت ومملكتك كلها ، وأن تترك تلك الخرافات الوثنيّة. هذا ما حداني إلى مخاطبتك في المعبد بكل احترام ، وبتلك الجسارة التي رأيتها.

فأجابها الأمبراطور برفق: لست ملمّاً كما ينبغي بعلوم الفاسفة ، لأردَّ على كلامك. لكني سآتي بعلماء المملكة ، وهم يعرفون كيف يهدمون ما بنيته من العقائد التي يتراءى لك. أن لا مردَّ عليها ، ويُظهرون ما اتَيته من الكفر والألحاد. فقبلتَ كاترينا. ثمّ سلَّمت وخَرجت. وارسلَ **مكسمينس** فطلب خمسين عالماً فيلسوفاً من فلاسفة المملكة ، ليناظروا تلك الشابة المغرورة بعلمها، المستسلمة بغباوة ، كما يزعم الاكثرون لحماسة الشباب وغروره ونزقه. فذاع خبر ذلك في جميع الأمصار. ولم يبقَ عالم ولا جاهل إلاّ تحدّث بتلك الأمور ، وبات ينتظر على أحرّ من الجمر يوم تلك المناظرة العظيمة التي لم يسبق بعد لتاريخ المملكة أن ذكر نظيرها.

أما كاترينا ، فأنها قضت الأيام بالصلاة والصوم والتواضع امام اللّه ، متضرّعة إلى عروسها يسوع أن يؤازرها بروحه القدّوس، وأن يتكلم بفمها في تلك المعركة الخطابيّة الكبرى، وينصرها على أعداء الأيمان تمجيداً لأسمه القدوس وتثبيتاً للمؤمنين. وكانت الكنيسة تصلي أيضاً لأجلها ، كما فعلت لما خلّصت بطرس الرسول من السجن ومن أيدي هيرودس وشعب اليهود.

فلما أتى اليوم المعهود أخذَ يجتمع عظماء المملكة والقوّاد والحكام وأتى العلماء يتبعون كبيرهم. ثمّ دخل الملك بعظمة وجلال فوقف الجميع إكباراً. ودخلت كاترينا فحامت حولها الأنظار. وداخل المسيحيين خوفٌ عليها أن تأخذها رهبة ذلك المقام فتتهيّب ولا تقدر على الجواب.

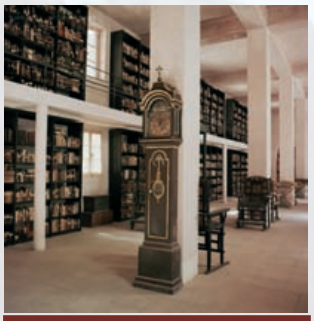
مكتبة دير سيناء العامر

فبدأ عميد العلماء بالكلام وقال لها انها تستحقّ اللوم الشديد، لأنها جسرت على احتقار اقوال الشعراء والخطباء والفلاسفة ، الذين أجمعوا على وجوب أداء العبادة والإكرام للآلهة «**جوبتير وجينون ونبتون وميرقا**» وباقي الآلهة. ثم استشهد بكلامهم وأورد بعضاً من أشعارهم ومن آياتهم ، كأنّه يكفي أن يورد ما كتبه الشعراء والفلاسفة ليظهَر هو بمظهر العالم المطّلع على آراء الأقدمين ، ويبرهن بذلك على وجود الآلهة وسلطانهم.

فأصغت كاترينا لكلامه وهي مطرقة إلى الأرض. ثم رفعت رأسها فاشرأبَّت إليها الأعناق. وبدأت خطابها بصوت واضح رنان ونغمة أخّاذة. وبعد مقدمة بديعة كانت قد أعدّتها لتكسبَ بها عطف سامعيها ، أخذت تفيض بياناً وسحراً بلغة روميّة يونانيّة موسيقيّة رقراقة. فقسّمت مُدافعتها الى أقسامٍ ثلاثة:

فبيّنت أولاً ان ما بَنى عليه حضرة العميد في كلامه عن وجود الآلهة هو محض خرافة ، ولا يمكن العقل السليم ان يقبله. وبرهان ذلك ما حكاه «**هوميروس واورفيبا**» في اشعارهما من الحوادث الفظيعة عن تلك الآلهة ، ومن ان وجودهم لا يتجاوز بضعة أجيال. وان بعض الفلاسفة أقرّوا ان لا وجود صحيحاً لهم إلاّ في مخيّلة الشعب البسيط. وأوردت كاترينا اشعاراً كثيرة للشعراء الأقدمين. فارتاح الحضور لتلك الموسيقى التي لم يألفوها.

وشرحت في القسم الثاني ان الفلسفة الصحيحة المبنيّة على المنطق ، لا تستطيع ان تعترف إلاّ بإله واحد خالق السماوات والأرض ومُبدع جميع الكائنات. ودعمت كلامها بأقوال كبار فلاسفة الدنيا، **كسقَراط وأفلاطون وأرسطو** ، الذين اعترفوا بأنّه لا يمكن أن يكون سوى إله واحد ، وهو أصل وسبب كل الموجودات ، وبأنّ هذا الإله يجب أن يكون كاملاً إلى ما لا حدَّ له في صفاته ، وأن يكون مستقلاً عن كل مسبّب سواه.

ثم أتت في القسم الثالث على بيان ألوهة السيّد المسيح، وأنّه واحد مع الآب والروح القدس ، وأنّه تجسّد وخلّص البشر بآلامه وموته. وسردت لذلك أقوال الأنبياء في العهد القديم ، ولاسيما ما جاءَ في كُتب «**السبـلاّ**» النبويّة الوثنيّة، التي يعترف بها الأمبراطور نفسه وعلماؤه، وَطبّقتها على ما جاءَ في العهد الجديد عن حياة المسيح المخلّص وموته.

فأكبَرَ جميع الحاضرين ذلك العلْم الغزير وتلك الفصاحة الدافقة ، ولولا احترامهم للامبراطور لصفّقوا لها. فالتفت الأمبراطور إلى العلماء وأشار إليهم أن يَنقضوا كلامها وكانت نعمة الروح القدس قد أنارت عقلهم وحرّكت قلبهم ، فأجاب عميدهم: إنّ ما قالته كاترينا لهو عين الصواب. فاستشاط الملك غضباً ، ونظَرَ إلى باقي العلماء ينتظر من أحدهم رداً ، فأجابوا كما أجاب عميدهم ، وقالوا أنّهم

أصبحوا يؤمنون بما تؤمن به كاترينا. فَسَرَتْ بين الجموع موجة من الهمس ، فيها الدهشة والسخط والإعجاب والسرور ، على حسَب ما ثار في قلوب الحاضرين من شتّى العواطف المتباينة. فازداد الأمبراطور غضباً، وأمَرَ أن يُحرَقَ أولئك العلماء بالنّار. فتقدّم أولئك الفلاسفة الأفاضل بسرور إلى النّار ، ليموتوا من أجل إيمانهم بالمسيح. فكانَ لهم سفك دمهم ماءَ المعموديّة المُطَهِّر والمُنَقِّي أدران خطاياهم السابقة ، وطاروا جوقةً مباركة إلى الأعالي، لينعموا مع الآب والإبن والروح القدس ، بشفاعة وبيان تلك الأبنة الضعيفة القويّة كاترينا ، التي أنطقها اللّه فاسكتت أكبر فلاسفة الأوثان. واقتدى الكثيرون بهم فآمنوا بالمسيح.

إيقونة الضابط الكل المميّزة، في دير القديسة كاترينا العامر في سيناء

* إستشهاد كاترينا البتول :

إلاّ أن الأمبراطور **مكسمينس**، مع غضبه وخروجه من ذلك المحفل ساخطاً ، كان قد علقَ بهوى كاترينا واستسلم صاغراً لذلك الهوى. فدعاها إليه وأكرمَ وفادتها ، وعرَضَ عليها الزواج ولبس الأرجوان وتَقَلُّد أكبر سلطة يصبو إليها قلب امرأة في المملكة. فرفَضت ذلك بعزّة نفس وإباء. وقالت: إنّ مَنْ عاهدت المسيح الملك على أن تكون عروساً له لا يمكنها أن تخونه. فلا سبيل لها إذن أن تقبل بعريس بشري. فتضرّع إليها ، فازدرته. فثار ثائره ، وأمَرَ بها فَجُلِدَت جلداً عنيفاً ، ثُمّ مُزِّقَ جسدها بمخالب حديديّة حتى سالت منه الدماء كمن ينابيع فوّارة. ثمّ أرسلها إلى السجن. فذهبت تسبّح الربّ وتشكر له ما أولاها من نَصر مُبين ، وما أسبغه بواسطتها على النفوس من المواهب والنِعَم.

أما هو فذَهب إلى مصبّ النيل لتفتيش القلاع والحصون على الحدود المصريّة الشماليّة.

وفي غضون ذلك حلمت «**فوستا**» الأمبراطورة حلماً، أنها رأت كاترينا تتلألأ بهاءً، وهي جالسة على عرش من نور. ورأتها ، وقد دعتها إلىً الجلوس بالقرب منها ، وجعلت لها إكليلاً على رأسها ، وقالت لها: أيتها الملكة العظيمة ، إنّ عريسي هو الذي يهدي إليك هذا الإكليل. فلما أفاقت رغبت في أن ترى كاترينا. فسهّل لها القائد «**پُرفيرُس**» الدخول إلى السجن. فذهبت إليه بصحبته ، وكانت قد سبقت وسمعت بكل ما جرى على يدها من الغرائب. فلما دخلت عليها وجدتها صحيحة الجسم معافاةً ، وقد شُفَيت جراحاتها كلها ، ورأتها باسمة الثغر ، بهيّة المنظر وأجمل بكثير مما كان قد حُكيَ لها عنها. فجعلت كاترينا تكلّمها عن السيّد المسيح وملكوت اللّه ، وعن الإزدراء بنعيم الدنيا وبخيراتها الزائلة. فأخذت الملكة بكلامها وآمنت بالمسيح. وآمن القائد پُرفيرُس معها. فتنبّأت لهما أنهما سيعانيان بعد ثلاثة أيام صنوف الآلام. لكن اللّه يقويهما على احتمالها ، ويعطيهما جزاء أمانتهما أن يملكا في السماء مع المسيح إلى الأبد.

وعاد **مكسمينس** من سفَره وأسرع وأحضَر كاترينا إليه ، فوجدها صحيحة ، وقد ازدادت بهاءً وإشراقاً. فارتاع لذلك الأمر ، وفتنه من جديد ذلك المُحيّا ، وعرض عليها الزواج ثانية وألحَّ في ذلك. فرفضت ، ولامته على أعماله وعلى نقضه للقوانين إرضاءً لكبريائه وشهواته. فلم يستطع **مكسمينس** أن يتحمّل تهكّم ابنة صبيّة ، وهو الملك الجبّار ، فأمرَ بأن تُصنَع آلة جهنميّة خاصّة ليمزَّقَ بها جسدها. وشتمها وازدراها وأعادها إلى سجنها.

فجاءَته إمرأته «**فوستا**» تلومه على فعاله، وتقول له أنّه كان عليه أن يترك تلك الأبنة كاترينا تذهب حرّةً ، وأن يذعن للحقّ أمام العجائب الباهرة التي جرت على يدها، وأن يترك شروره ويؤمن بالمسيح فيَخلُص. فجُنَّ جنونه لما سمع ذلك الكلام من إمرأته ، وعرف أنها صارت مسيحيّة هي وپُرفيرُس القائد. فأمر الجند بتعذيبهما ، ثمّ قطع رأسيهما ، على حسب ما سبقت كاترينا وتنبأت لهما. وأمات **مكسمينس** مئتين من الجند الذين آمنوا بالمسيح على مثال قائدهم.

وبعد موت زوجته ، صفا له الجوّ ، فدعا كاترينا من جديد إليه ، وعرَض عليها للمرّة الثالثة أن تتزوّجه فتصبح الأمبراطورة الوحيدة المُطاعَة الغنيّة السعيدة. فازدرت العذراء قاتل إمرأته وسافك الدماء البريئة. فلم يستطع صبراً على ذلك. فأمر بها أن يجعلوها على تلك الآلة الجهنميّة ، لتمزّق جسدها وتميتها أفظع ميتة. فما أن أتوا بتلك الآلة حتى انفجرت وتكسّرت وتناثرت قطعها ، فجرحت وقتلت الآخرين من الجلاّدين. فعيل صبر **مكسمينس** وخاف سوء العاقبة فأمر الجند أن يسوقوا كاترينا خارج المدينة وأن يقطعوا رأسها.

كنيسة التجلّي في دير القديسة كاترينا ، سنة ١٨٣٩

فذهب الجند بها. وفيما هي سائرة ، كانت تصلّي وتسبّح الربّ الذي أهّلها لأن تتألّم وتموت حُبّاً له. وطلبت إلى عروسها يسوع أن لا يسمح لأحد من أولئك البرابرة القتلة أن يدنّس جسدها بعد موتها، بل ولا أن يقدر على النظر إليه. فوعدها يسوع بذلك. ولما وصلت إلى محل إعدامها، جثت وصلّت وطلبت إلى الربّ أن يبدّد ظلام الوثنيّة ويضيءَ العالم بأنوار الإيمان. ثمّ حنَت رأسها فقطعه الجلاد بضربة سيف. وغابت عن الأبصار. ولم يعُد أحد يراها.

ثم وجَدَ بعض النساك ذلك الجسد الطاهر في جبل سيناء ، على عهد **الملك يُستنيانُس**. فدفنوه هناك بإكرام ، وبنوا على ذلك الجبل على اسم «**القديسة كاترينا**» كنيسةً وديراً لا يزالان قائمين إلى يومنا هذا.

وقد اتخذت الكنيسة تلك العذراء الشهيدة والفيلسوفة البارعة شفيعة للبنات وللفلاسفة ، لكي يقتدوا بطهارتها الملائكيّة وبغيرتها الفعّالة ، ويبشّروا ، بعلمهم وبمثلهم الصالح ، بالإيمان بالمسيح يسوع وبإنجيله الطاهر.

الله الثالوث: مصدر الحياة الأعلى

أفكار وتأملات حول أيقونة «ضيافة إبراهيم» للقديس اندريه روبلاف

كيف للطبيعة الإلهية أن تدخل في الشكل الإنساني؟ أو كيف نفهم الإله غير المنظور بواسطة الأحاسيس الإنسانية؟ علاوة على ذلك، فالكنيسة تعبد الرب وتمجّده وتعترف به باستمرار لأن اللّه يتكلّم ويظهر نفسه لنا. «اللّه بعدَ ما كلّم الآباء بالأنبياء قَديماً بأنواع وطُرق كثيرة كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شَيء الذي به أيضاً عَملَ العالَمين الذي هو بهاءُ مَجده ورَسم جوهره وحاملٌ كلَّ الأشياء بكلمة قُدرته بعدما صَنَعَ بنفسه تطهيراً لخطايانا جلَسَ في يمين العظمة في الأعالي صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورثَ اسماً أفضل منهم» (عب١:١-٤). ولكن الصورة التي يعلنها لنا رب الحياة ليست صورة من عزلة أبدية، بل هي من الاتحاد الأبدي.

اللّه محبة لأنه ثالوث. إن سرّ اللّه الثالوث هو السرّ العظيم للوحدة والشركة معاً وأيقونة الثالوث الأقدس، هي تعبير عن عبادة الكنيسة الأرثوذكسية للّه الكلي القدرة. فالقديس أندريه روبلاف، الراهب الروسي الأرثوذكسي، الذي رسمها (سنة 1422) قصد من ذلك تأكيد الحياة خلال سطوة الموت اليومي **أبّان حكم التتر**. تُعتبر الأيقونة في التقليد الأرثوذكسي نافذة روحية بين السماء والأرض. ومن خلالها تتأمل الكنيسة الكائنات السماوية مؤسسة ارتباطاً روحياً مع هذه الكائنات.

الخلفية الذهبية في الأيقونة تمثّل الجو الإلهي الذي يحيط باللّه وبقديسيه. فإن تنظر من خلال نافذة الأيقونة بأعين الإيمان هذا يعني أنك تنظر إلى المجالات السماوية. ولأجل الأمانة لهذه التقوى التضرعية الجلية تأمّل لاهوتيّو الكنيسة الأولى بسرّ تجسد اللّه ففتّشوا في العهد القديم عن طرق للتعبير عن تصوّر مسبق للثالوث الأقدس، فاستندوا على مقطع من كتاب التكوين في الفصل الثامن عشر الذي يتحدّث عن زيارة ودّية قام بها **ثلاثة ملائكة** إلى إبراهيم في منطقة ممرا. تشير هذه الزيارة، في مفهوم الكنيسة، إلى ظهور الثالوث الأقدس. وتتحدّث النصوص الليتورجية الأرثوذكسية فتقول: «مبارك إبراهيم الذي رأى وتقبّل الواحد ذا الطبيعة الإلهية الثالوثية».

وعبر الخطوط والألوان، تُظهر أيقونة الثالوث مجد اللّه الحي، الذي يستعلن بذاته في **بلوطات ممرا**.

فاللون الأزرق يرمز إلى ألوهية كل من الثلاثة.

اللون الذهبي في هالاتهم يرمز لقداستهم،

وكذلك صوالجتهم تظهر هيبتهم الملكية.

وفي الوقت نفسه، يتميّز كل شخص عن الآخر بالشكل أو بعلاقتة مع الآخرين، وبالألوان المعطاة لكل واحد منهم. المشابهة والتمايز، والثبات والحركة، الشباب والرشد، المرح والوقار، الشدّة والرحمة، الأبدية والواقع التاريخي: كل هذه تأتي سوية، فلا يوجد فصل أو اختلاط، ولا توجد فوضى في الأشخاص.

وَجْهَا الابن والروح القدس متجهان نحو الآب، الذي هو مصدر حياتهما والذي يدعوانه: «**أبا**» أو «**أيها الآب**» (مر١٤:٣٦ وغلا٤:٦). الآب موجود ليعطي الحياة أبدياً للابن والروح القدس. الابن والروح القدس موجودان من الأبدية، منذ أن أعطى الآب نفسه لهما سرمداً. الابن والروح القدس يستمدّان حياتهما من كونهما يعطيان نفسيهما للآب. فكل واحد يحيا لأجل الآخرين فقط، لا يستطيع الانفصال عنهما. كل واحد يحيا حياة الآخرين، ويعطيهما نفسه كلياً، بمعنى أن كل واحد من أشخاص الثالوث يكون في الآخرين. «ليكونَ الجميعُ واحداً كما أنّكَ أنت أيّها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هُم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالمُ أنّك أرسلتني» (يو١٧:٢١).

دفق الحب هذا، الذي في الثالوث، يمكنه أن يكون منظوراً من خلال تاريخ الخلاص، الذي تمّ في مسار خلاص العالم وتقديسه في تدفق الحب. أعين وجوه الأشخاص الثلاثة قد تركّزت على كأس الحب المصلوب معبّرة عن الحنان غير المتناهي، وعن الوقار والرحمة والرأفة.

الآب بلباس ذهبي لمّاع: وَضْعيّة يده اليمنى تشير إلى عمل العطاء والإرسال المشتعل بالحب. «الآب يعطي الابن لأجل العالم» (يو٣:١٦). الآب يرسل الابن والروح القدس إلى العالم المخلوق، من أجل إشراك العالم في الحياة الإلهية. وترمز الشجرة المرسومة وراء الابن والروح كحركة استجابة الابن والروح نحو الآب. فيما الآب يعطي الابن لأجل حياة العالم، يتأنّس الابن ويعطي نفسه للآب ضحية من أجل غفران الخطايا ولحياة العالم. الثوب الأحمر الدموي يرمز إلى رفع شكل الابن المتأنس بجسده ودمه المقدسين المقدمين في سر الشكر، ولهذا هو رئيس كهنتنا إلى الأبد، يرتدي «البطرشيل الأسقفي المذهب»، إشارة إلى مجد حبه المضحي.

في ايقونة روبلاف، شخص الابن هو البارز، لأنه أقرب إلينا إذ قد أصبح واحداً منا بتجسده.

الآب يعطي الكأس، الأبن يباركها ويقدسها بتقديم نفسه هدية، حينئذ الروح القدس ينقلها إلى العالم كونه روح الجماعة «سلّموا بعضكم على بعضٍ بقبلة مقدّسة» (٢كو١٣:١٢).

شخص الروح يرتدي الأخضر الشفاف لأنه هو الذي ينقل إلى العالم الحياة المعطاة بالرب التي هي الحياة الإلهية، فهو معطي الحياة. «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطيئة والموت» (رو٨:٢). بقوة الروح القدس، وبلمسة حب الآب والابن، نحن ندعو المسيح «**رب**»، ونصرخ بالآب «**آبا**» (رو٨:١٥).

بهذا المعنى يكون الثالوث غير المنقسم النموذج والمنبع لوحدة الكنيسة: «فليكونوا واحداً كما نحن واحد» (يو١٧:٢٠-٢٢). هكذا صلّى الابن المتأنّس إلى الآب بشأن تلاميذه.

صورة الثالوث القدوس هذه لا تدع مجالاً لأية أنانية، سواء كانت فردية أم جماعية. كل انفصال هو مدمر للحياة. أية تراتبية أو طبقية بين الأشخاص تدمر الحياة. إنها تدعو كل البشرية لجعل هذا العالم إفخارستية محبة دائمة، البشرية مخلوقة على صورة اللّه. «وقال اللّه لنعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا....» (تك١:٢٦)، ومدعوة لأن تحيا على صورته الإلهية، ولتشارك خبزها اليومي معاً.

في وسط الثالوث الأقدس، يوجد كلمة الحياة الصائر جسداً، المسيح مصلوباً ومرفوعاً لأجل حياة العالم. بالأعتراف بـ «يسوع المسيح – حياة العالم» يؤكّد المسيحيون عظمة الرب القائم، والبعد العالمي الكوني لملكه.

هناك دفع كوني في العهد الجديد الذي يعلن أن كل «ملء اللّه» ظهر بالمسيح، وأن «كل الأشياء» تتصالح عبر المسيح (أنظر افس ١:٩-١٠ ، وكولسي ١:١٥-٢٠، وعب١:١-٣).

الكأس التي يباركها هو ويقدمها إلى العالم ترمز إلى الحياة التي صارت إفخارستيا فيها يقدّم نفسه هدية للآخرين وللشركة مع الآخرين. تحتوي الكأس، حسب التقليد الأرثوذكسي، الخبز والخمر المحوَّلين إلى جسد الرب ودمه، وتشكّل رسالة أساسية في هذه الأيقونة لأجل حياة العالم. فالخبز اليومي مسألة هامة في حياة الناس، ونقصانه يسبّب الجوع والنقصان والموت للعالم المقسّم بإجحاف بين الأغنياء والفقراء. الكأس الإفخارستية تدعو الكل للمشاركة اليومية بالخبز الواحد، وبالتالي، بكل المصادر والإمكانيات المادية والروحية مع ملايين الناس، الذين عبرهم يأتي اللّه الثالوث في رحلة حج إلينا في كل دقيقة.

أيتها الوحدة الكاملة في شركة، يا ينبوع الحياة الأعلى، أيّها الثالوث الأقدس الفائق البركات، المجد لك. آمين

الرموز التي وردت في العهد القديم عن السيّدة العذراء

١) حوّاء
٢) شجرة الحياة
٣) سلّم يعقوب
٤) العليقة
٥) خيمة الإجتماع
٦) المنارة الذهب
٧) الصخرة
٨) تابوت العهد
٩) لوحا الشريعة
١٠) قسط المنّ
١١) عصا هارون
١٢) جبل دانيال
١٣) باب حزقيال
١٤) المجمرة
١٥) فلك نوح
١٦) حمامة نوح
١٧) تخت سليمان
١٨) الكنيسة

العذراء تتوسط شجرة الميلاد حيث تنبأ عن ميلادها للمسيح أنبياء العهد القديم

وسيتم تفسير هذه الرموز في الأعداد القادمة من مجلة نور المسيح

طريق النساك في استعمال الأشياء الحسية

نحن مكوّنون من نفس وجسد، فلا يمكن الفصل بين الاثنين في سلوكنا. لذلك يناسبك أن تستخدم الأمور الحسية لمساعدتك: والمسيح لأنه عرف ضعفنا، فإنه استخدم **الكلمات، والحركات، والتفل، والأرض - كوسائل** - وذلك من أجلنا. فمن أجلنا جعل قوته الإلهية تخرج من هدب ثوبه (مت ٩:٢٠، ١٤:٣٦). ومن أجلنا جعل قوة الشفاء تخرج "من مناديل ومآزر من جسد الرسول بولس" (أع ١٩:١٢)، بل ومن ظل الرسول بطرس (أع ٥:١٥).

لذلك، استعمل كل ما هو من الأرض كعكاز تتوكأ عليه ذاكرتك في تجوالك الشاق على الطريق الضيّق.

وليت كل مظاهر الخليقة: بياض الثلج، وزرقة السماء، وعين الذبابة المرصعة بالجواهر، ولسع النار، وغير هذه من الخلائق التي تقع عليها حواسك، ليت كل هذه تذكرك بخالقك. ولكن بنوع خاص إستعمل ما تقدمه لك الكنيسة لمساعدتك على تقديم "أعضاءك عبيدًا للبر للقداسة" (رو ٦:١٩).

إن أول وأهم ما تقدمه لك الكنيسة هو جسد الرب ودمه. وبالمثل أيضًا بقية الأسرار المقدسة وكل خدمات العبادة، والكتاب المقدس بكل أسفاره.

وتقدم لك الكنيسة أيضًا الأيقونات المقدسة التي تصور لك والدة الإله، والملائكة، والقديسين، والصلاة أمامهم، وأيضًا الشموع والبخور، والمياه المقدسة، ومويض الذهب، والألحان المقدسة.

تقبل كل هذه الأشياء بالشكر واستعملها كلها لأجل بنيانك وتشجيعك، لأجل تقدمك وفائدتك بينما أنتَ سائر في طريقك.

واعط فرصًا كثيرة للتعبير عن حبك لرب المحبة الكريم، قَبِّل الصليبَ والأيقونات وزيّنها بالزهور، فإن كان الشرّ يُسحق بالصمت، عندئذ ستتاح الفرصة للمشيئة الصالحة لتعبّر عن نفسها بكل حرية. فإنً كان ما يُعطى بمحبة، يُستلم بمحبة، فإنّ مجال المحبة سيزداد ويتسع. هذا هو الهدف لكل ما تعمله. فبقدر ما يكون النهر كبيرًا كلما اتسعت دلْتاه أكثر. واستعمل جسدك أيضًا، كمعين لك في الجهاد. شذبه واجعله متحررًا من الأهواء الأرضية. اجعل جسدك يشارك في مشقتك وتعبك: فإن كنت تشتهي تعلّم الاتضاع مثلاً، فدع جسدك أيضًا يكون متضعًا ومنحنيًا إلى الأرض. انسكب بوجهك وانحني بركبك على الأرض كلما استطعت أن تفعل ذلك على انفراد، ولكن انهض في الحال، فبعد أي سقوط، هناك القيام والاستعادة في المسيح.

ارشم علامة الصليب بمواظبة: فهي صلاة بدون كلمات. فهي تعبّر عن إرادتك في أن تشارك حياة المسيح، وفي أن تصلب جسدك برضا وبدون تذمّر، وفي أن تنال ما يرسله لك الثالوث القدوس، كل هذا يتم في لحظة قصيرة، وبدون الكلمات البطيئة وفوق ذلك فإنّ علامة الصليب هي سلاح ضد الأرواح الشريرة: فاستعمل هذا السلاح مرات كثيرة، وبتأمل وتفكير.

ولا يمكن أن يُبنى البيت أبدًا، إلاّ بعد أن تنصب السقالات. فالإنسان القوي فقط هو الذي لا يحتاج إلى معونة. ولكن هل أنت قوي؟ ألست أنت أضعف الضعفاء؟ ألست أنت طفلاً؟.

بيت لحم في أسفار العهد القديم

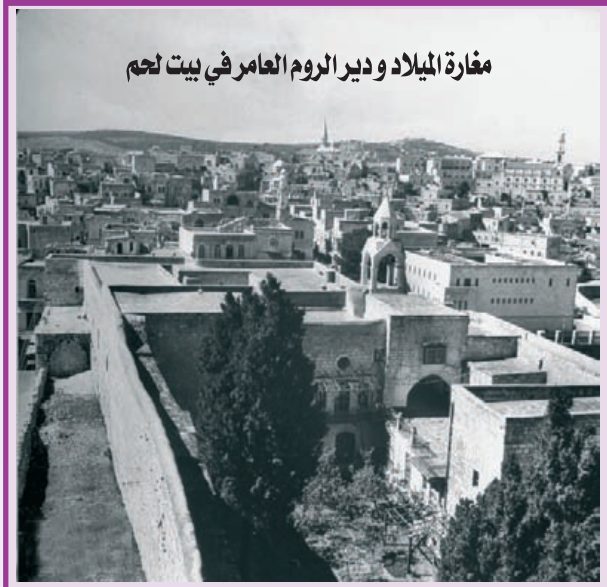
مغارة الميلاد و دير الروم العامر في بيت لحم

بيت لحم: إسم عبري معناه «**بيت الخبز**» ، وهي قرية صغيرة مبنيّة على أكمّة تبعد ٦ أميال إلى الجنوب من أورشليم وهي محاطة بتلال تكسوها الأشجار والنباتات الجميلة. وفيها مياه عذبة تنفجر من أراضيها المخصبة. وجاء في نصّ الكتاب ، أنّ داود الملك إشتاق مرّة أن يشرب ماءً من بئر بيت لحم لأنّه كان قد اعتاد عليها حينما كان صبيّاً يرعى غنم أبيه. ومع أنّ بيت لحم كانت صغيرة بحيثُ لم تُحسَب مستحقّة الذِّكر في جدول أملاك يهوذا الأصلي (يش ١٥) فلا يعادلها موضع آخر من المواضع المذكورة في الكتاب المقدّس لإعتبارات شتّى ، فإنّها كانت مدفن راحيل (تك٣٥:١٩) ، ومسكن نُعمي وبوعز وراعوث (را ١:١٩) ومسقط رأس داود (١صم١٧:١٢) ومدافن آل يواب (٢صم٢:٣٢) ، وقد سكنها الفلسطينيّون (٢صم٢٣:١٤و١٥) ، وحصّنها رحبعام (٢أخبار١١:٦).

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٢٤)

تتمة من العدد السابق

حياة الآباء وخواص تلك الفترة

الآباء صورة متطابقة مع عصرهم:

يتضح من دراسة العالم القديم والإهتمام بذلك الماضي البعيد ومع تتبّع عادات الشعوب في مصر وما بين النهرين وكنعان وآرام، نجد أنفسنا نقترب من صورة متكاملة شاملة، تتفق مع روايات سفر التكوين عن شخصيات فجر التاريخ، فلا تظهر شخصيات الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف، مُنعزلة عن زمانهم الذي عاصروه، أو تلك الأماكن التي سكنوا فيها، بل هي جزءٌ منه تتحاكى معه في أحداثه وطبيعته، كما أنّهم ليسوا صوراً من التاريخ الإسرائيلي المتأخّر بل هم يظهرون معايشين زمانهم وعصرهم، فهم يَتَسَمَّون بذات الأسماء وينسجمون مع نفس العادات والتقاليد التي كان يعيشها معاصروهم في تلك الفترة، ونراهم يرتحلون في ذات البلدان ويسكنون المُدن عينها، وينتقلون بعائلاتهم من مكان لآخر بنفس الوسائل من دواب وعربات، ويعيشون ذات الحياة ويرتدون نفس الملابس ويقومون بأعمال عصرهم، إنّها دقّة الوحي الإلهيّ الذي نقل إلينا هذه القصص التي حدثت منذ آلاف السنين، ولكنها مازالت تنبض بالحياة وتؤثّر في النفس.

موسى والخروج من مصر

أ ـ مصر في زمن موسى

«ثمّ قام ملكٌ جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف» (خر١:٨).

يبدأ سفر الخروج بهذه الآية وهذا يعني أن أسرة فرعونيّة جديدة جاءت إلى السُلطة، وتنهج سياسة مُغايرة لسابقتها، وشديدة التعسّف مع الساميين الأجانب، وهي سياسة تختلف عن الحُكم السابق لستّة فراعنة من الهكسوس والذين حكموا لأكثر من قَرنين من الزمان، وكانت عاصمتهم في شمال القُطر، وقد بدأ الأمراء في الجنوب مع نهاية الأسرة السابعة عشر الهكسوسيّة نضالهم لإستعادة الحُكم الفرعوني الوطني ليسود على البلاد،

فجرّد **سنفرو الثاني** جيشاً مدرّباً وتقدّم شمالاً لمحاربة **أفاريس** العاصمة الهكسوسيّة، لكنّه مات متأثراً بجراحه، وتُظهر مومياؤه المكتشفة الحالة السيّئة وواضحٌ بها خمسة جروح نافذة في الرأس والعنق، ربما أصابته من ضربات رمح أثناء المعركة، ولكنّه سجّل إنتصاره في الكرنك، وخَلفه **كاموزه**، ثم بعد موته واصل أصغر إخوته وخليفته **أحمس الأوّل** الحرب ضد الغزاة الساميين حتى تحقّق له النَصر وأخرجهم من مصر وظلّ يطاردهم حتى فلسطين، وبذلك النَصر الباهر فَجَّرَ شروق شمس الدولة الحديثة (١٥٥٠ـ١٠٨٠ ق.م.) والتي شملت الأسرات (١٨ـ٢٠) وفيها صارت مصر أقوى دولة بعد أن طردت الهكسوس وعادت إلى الحكّام الفراعنة ذات الدم المصري، فعاشت أبهى عصورها وضمّت هذه الأسرات الملوك الأقوياء حيثُ حكمها سلسلة من ملوك طيبة الأشداء، وواصل الجيش المصري إنتصاراته وزَحَفَ على سوريا وفلسطين وبَسَطَ نفوذه متقدّماً في المنطقة حتى حدود ما بين النهرين، فقد أصبح جيش مصر القوي بعد دخول سلاح المركبات والتي أعطت تفوّقاً عسكرياً بسبب تلك العربات التي تجرّها الخيل والتي سبَقَ أن أدخلها الهكسوس معهم إلى مصر، كما صارت لهم الأسلحة المتطوّرة من الخناجر والسيوف والأسلحة الأخرى التي من البرونز والنحاس وخاصة ذلك القوس الأسيوي المركّب.

يتبع

حرية الإنسان

«كم مرّة أردتُ أن أجمع أولادك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا» (لو١٣:٣٤)، تبيّن بوضوح القانون القديم الخاص بحريّة الإنسان؛ اللّه صنع الإنسان حرّاً منذ البداية حتى أنّه يمتلك قدرته الخاصّة تماماً كما يمتلك نفسه الخاصّة لأتّباع إرادة اللّه بحريّته، وبدون إرغام من اللّه.

لأنّه مع اللّه لا يوجد قسْرٌ ... لذلك، فإنّه يُعطي مشورة صالحة لكل واحد. وقد وضع في الإنسان **كما في الملائكة** القدرة على الإختيار.

أما الذين لا يطيعون فإنّهم لا يوجدون أهلاً لإقتناء الصالحات، وسوف يأخذون العقوبة التي يستحقونها، لأنّ اللّه قد أنعم عليهم بالصالحات بلطفه، ولكنّهم لم يحفظوها بإعتناء، ولا حسبوها شيئاً ثميناً، بل إزدروا بصلاحه الفائق ... فاللّه، إذن، قد أعطى الصلاح، والذين يستخدمونه سوف ينالون المجد والكرامة، لأنّهم عملوا الصلاح بينما كان في إستطاعتهم أن يعملوا خلاف ذلك.

(القديس إيرينيئوس ـ ضد الهرطقات ١:٣٧:٤)

عجائب القديس يوحنا الروسي

وُلدَ القديس يوحنا الروسيّ في روسيا سنة ١٦٩٠ . أسرَ في الحرب الروسيّة التركيّة سنة١٧١١ ؛ بيعَ كعبد لرئيس الفَرسان في بلدة بروكوبيو ، نال من الإضطهاد والعذاباتَ والضرب ألواناً. حافَظَ على إيمانه الأرثوذكسي. إنتقل وله من العمر ٤٠ عاماً. بقي جسده بدون فساد. نُقِلَ إلى بروكوبي في إيڤيا باليونان. وهو مسجّى في الكنيسة التي تحمل اسمه.

جمعها الأب يوحنا فرنيزوس، خادم كنيسة القديس في بروكوبي - آڤيا

سنة ١٨٧٨ ، انطلق أحد رهبان دير القديس بندلايمون (الروسي) في جبل آثوس، واسمه أندراوس، قاصداً بروكوبيو ليسجد لبقايا **القديس يوحنا الروسي**. وبعدما بَلَغَ غايته وسجد لبقايا القديس الذي كان يحبه كثيراً، مكثَ في بروكوبيو فترة من الزمن ثم قَفَلَ راجعاً. وكانت هناك ست عربات أخرى متوجهَة إلى القسطنطينيّة. فعندما وصلت القافلة إلى معبر صعب، انفصلت خمس عربات منها وانطلقت متقدمة عند أحد المنعطفات تاركة العربتين الأخريين خلفا والراهب أندراوس في إحداهما. وبينما هم في متاهة جبليّة، ظَهَرَ إلى جانبهم شاب يمتطي حصاناً أحمر، وأشار إليهم بيده قائلاً: «عودوا إلى الوراء لأن اللصوص قبضوا على رفقائكم الذين سبقوكم». وإذ قال ذلك اختفى.

أدارَ المسافرون عرباتهم عائدين، فأطلق اللصوص النار عليهم، ولكنهم لم يتمكّنوا من إيذائهم. فَقَصَدَ الراهب قرية قريبة، ومن هناك أكمل طريقة برفقة جنود أتراك.

في أحد الخانات، التقى الراهب رفقاءَهُ في الرحلة، وكانوا تجاراً من الشرق، فأخبروه كيف أن اللصوص لم يكتفوا بسلبهم أموالهم، بل جرّدوهم من ثيابهم أيضاً. وتعجّبوا كيف نجا الراهب من أيديهم.

عندها قصَّ عليهم أندراوس ظهور الشاب لهم، فمجَّدوا جميعُهم الربّ، وأدركوا أن **القديس يوحنا الروسي** هو الذي أنقذَ الراهب الذي تحمَّلَ مشقة رحلته وطولها لكي يسجد لبقاياه في بروكوبيو.

طروبارية القدّيس يوحنا الروسي: إنّ الذي دعاك من الأرض إلى المساكن السماويّة ، حفظ جسَدَك بعد الموت سالماً أيها المغبوط ، لأنّك ، يا يوحنا ، وأنت مأسورٌ في آسيا ، حافظت على محبّتك للمسيح ، فإليه تضرّع أن يخلّص نفوسنا.

تابع من ص ١٣

حريّة انقيادها وعن تقدّمها الطوعيّ إلى اللّه ، كما لو كانت مأخوذةً بالعشق الإلهيّ مشتهيةً هذا الدّخول والسُكنى في قدس الأقداس.

١٣ ـ لقد فهم رئيس الكهنة أنّ الطفلة حاصلةٌ على النعمة أكثر من الجميع، فأقامها من ثمّ في المكان الذي هو أفضل من أي مكان آخر ، مُدخلاً إيّاها إلى قدس الأقداس ومعلّماً الكلّ توقيرَ العذراء التي كانت تتغذّى بقوت إلهيّ يُحضره إليها ملاكٌ ، والذي به كانت تنمو في جسدها على نحو أجزل طهراً ونقاءً من القوّات العادمي الأجساد إذاً كان الملائكة يخدمونها ، هي التي لم تدخل الهيكل من تلقاء نفسها بل التي اجتذبها إليه اللّه نوعاً ما لتسكن معه سنوات عدّة إلى أن انفتحت الأخدار السماويّة وقدّمت للمؤمنين هيكلاً إلهيّاً بمولودها العجيب.

١٤ ـ لذلك أُودعت اليوم في الأقداس كذخيرة إلهيّة هذه الطفلة المختارة بين المختارين منذ الدهر، التي كان جسدها أكثر طهارةً من الأرواح المطهَّرة بالفضيلة ، حتى إنها أضحت لا رمزاً للأقوال الإلهيّة وحسب ، بل ومسكناً أيضاً لأقنوم الكلمة الإبن الوحيد نفسه الذي للآب غير المولود.

هذه الوديعة في حينها كزينة غنيّة تفوق العالم ، ولذلك يمجّد أمّه قبل الولادة وبعد الولادة أيضاً .

وأما نحنُ فإذ نفهم معنى الخلاص الذي يتهيّأ عن طريقها فنقدّم لها الشكر والتسبيح كلّه.

هكذا حين سمعت المرأة المذكورة في الإنجيل الأقوال الخلاصيّة طوّبت والدة الإله مؤديّة لها الشُكر جهاراً وقائلة للرّبّ: «طوبى للبطن الذي حملك وللثديّين اللّذين رضعتهما» (لو١١:٢٧).

ونحنُ الحائزون على أقوال الحياة مكتوبةً أمامنا ، ومعها العجائب والآلام ، وإقامة جنسنا من الأموات ، وإصعادها إلى السماء ، والحياة الأبديّة الموعود بها ، والخلاص المنتظر كيف لا نواصل التّسبيح والتّطويب الآن لمن وَلَدَت مُعطي الخلاص ومانحَ الحياة ، عند الحبل بها وعند ولادتها وعند دخولها إلى الأقداس ؟

١٥ ـ إذاً فلننقلْ أيّها الأخوة أنفسنا نحن: أيضاً من الأرض إلى السماء ، ومن الجسديّات إلى الروحيّات. لننقل شوقنا من العابرات إلى الباقيات ، ولنزدَر بالملذّات الجسديّة التي تطعن بالنّفس وتعبر بسرعة. فلنشته الهباتَ الرّوحيّة التي تبقى بلا فساد ، ولنرفع ذهننا من الصّخب مُرتَقين به إلى السماوات ، إلى قدس الأقداس حيثُ تسكن والدة الإله.

١٦ ـ هكذا ستُقَدّم لها نشائدنا بدالّة كبيرة ، وهكذا سنصبح بشفاعاتها ورثاء للخيرات الباقية بنعمة الرّبّ يسوع المسيح ومحبّته للبشر ، الذي وُلِدَ منها لأجلنا والذي به يليق المجد والإكرام والسّجود مع أبيه الذي لا بدءَ له وروحه الكليّ قدسه. الصانع الحياة ، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الدّاهرين. آمين.

الرّوميّة

إنتماءٌ يدوم ويدوم...